العدد الحادى عشر من السنة الرابعة ذى القعدة سنة ١٣٦٢ — نوفمبر سنة ١٩٤٣

مجلة

الشؤون الاجتماعية

تصدرها شهريا وزارة الشؤون الاجتماعية

مدير التحرير : حسن الشريف : تليفون ٨٥٣١٢

القاهرة
طبعت بالمطبعة الأميرية ببولاق
١٩٤٣

فهرس العدد

		صفحة
رسالة وزارة الشؤون الاجتماعية	فؤاد سراج الدين باشا	٣
النشاط الاجتماعي العام		٦
مشكلة التسول	للدكتور سليمان عزمي باشا	١٢
في مفرق الطريق	الاستاذ سيد قطب	١٦
الاسراف في طبقات العمال	الأستاذ قايد العمروسي	٢٠
نبوغ شبابنا	الأستاذ صلاح الدين الشريف	٢٧
ملاحظات عابرة		٣٠
العناية بالنفس	« صلاح الدين الأيوبي	٣٦
المناحة الدائمة		٤٠
نظرات في كتاب "أميل"	الكاتبة زينب محمد حسين	٤٣
في المحلة الكبرى	الأستاذ محمد عبد الكريم	٤٨
واجب التاجر المسلم	الأستاذ فكري يس	٥٧
الحج ركن من أركان الاسلام	« مصطفى الصاوي	٦١
في ميدان العمل الحر متسع للجميع	« عيسى متولي	٦٦
النغم المبتور (قصة اجتماعية)	بقلم سمير	٧٠

رسالة وزارة الشؤون الاجتماعية

لحضرة صاحب المعالى فؤاد سراج الدين باشا

وزير الشؤون الاجتماعية

" فى الرابع والعشرين من شهر أكتوبر سنة ١٩٤٣ ألقى حضرة صاحب المعالى وزير الشؤون الاجتماعية كلمة من محطة الإذاعة اللاسلكية مفتتحا بها سلسلة الاذاعات التى تنظمها وزارة الشؤون الاجتماعية ، وضح بها الأهداف الحقيقية التى ترمى إليها وزارة الشؤون الاجتماعية والتى يجب أن ترمى إليها وتعمل على تحقيقها ، ويسر هذه المجلة أن تنشر هذه المحاضرة القيمة تعميما لفائدتها " المحرر

سيداتى ، سادتى :

باسم الله خير المصلحين ، وباسم مصر كنانة الله فى العالمين ، أفتتح هذه الحلقة من سلسلة أحاديث الإصلاح الاجتماعى ، يذيعها عليكم بعض كبار موظفى وزارة الشؤون الاجتماعية ، ونفر من قادة الفكر وذوى الاصالة ، الذين عكفوا على دراسة مشاكل هذا البلد الاجتماعية ، ليعرفوكم بمشروعات هذه الوزارة وأعمالها ، وليطلعوكم على أغراضها وغاياتها ، ويدعوكم الى التكاتف معها فى أداء رسالتها .

فما كان لهذه الوزارة الفتية ، وهى التى ما أنشئت الا لخدمتكم ، ولا تنجح الا بمساهمتكم وإقبالكم ، أن تغفل واجبا من أهم واجباتها وهو تهيئة الأذهان لجهادها وتمهيد السبيل لرسالتها ، وتوجيه الرأى العام وجهة اجتماعية صالحة ، ونشر المبادئ الاجتماعية السامية بين أفراد هذا الشعب الكريم .

وإذا كان هؤلاء المحاضرون والمحدثون هم دعاة الاصلاح الذى ننشد ، ورسل المجد الذى نبتغى فمن حقهم عليكم أن ترهفوا إسماعكم الى ما يذيعون وأن تعوا ما يقولون ، فان هذه الأحاديث وتلكم المحاضرات هى فى الواقع طلائع ثورة اجتماعية ، ما أحوج الوطن اليها . ثورة على الجهل حتى تمحى ظلماته ، وثورة على الفقر حتى تنتهى نكباته ، وثورة على المرض حتى تزول مسبباته . فلهذه الأغراض النبيلة قامت وزارة الشؤون لتصل بالإيمان والعمل الى تحقيقها .

ولقد اخترت أن أحدثكم الليلة عن رسالة وزارة الشؤون الاجتماعية وأنا مؤمن بأن لهذه الوزارة رسالة سامية تعمل لها ، وتسعى فى أدائها دون كلل أو ملل . وهذه الرسالة التى اضطلعت بها هى مبعث وجودها . فقد نشأت هذه الوزارة عن ضرورة ماسة وتولدت عن حاجة ماسة هى ضرورة رفع المستوى الاجتماعى لهذا الشعب ، وهى حاجة الطبقات الفقيرة الى رعاية خاصة من جانب الدولة ، ومضاعفة الجهود فى سبيل رفع مستواها ورخائها وصد عوامل الجهل والفقر والمرض عنها .

لقد مضى وانقضى ذلك الزمن الذى وكلت فيه الحكومات أمر الطوائف العاملة والطبقات الفقيرة الى نفسها دون أن تحيطها بشئ من حمايتها ورعايتها . مضت تلك الأحقاب وانقرضت تلك الحكومات ووليت حكومة الوفد مقاليد الحكم فجعلت نصب عينها حماية هذه الطبقات ورعاية حقوقها ، ومكافحة الامراض الاجتماعية حيثما حلت ، والارتقاء بمستوى الشعب الى المرتبة التى هو جدير بها .

لقد أصبح للحضارة الاجتماعية — أيها السادة — نظم وقواعد وقوانين ثابتة فى حياة الأمم الراقية ، بل تخطت هذه الحضارة حدود الأمم والممالك لتجمع الدول من حولها ، وتوحد فى الاصلاح منهاجها ، على نحو ما كانت تضعه عصبة الأمم من تشريعات واتفاقيات تجمع عليها الدول ، لصالح العمال وسائر الطبقات الفقيرة .

على أنه لابد بعد هذه الحرب من أن تسير الدول كلها فى هذا المضمار وتجد فيه ، وقد بانت دلائل ذلك فيما تضعه بعض الدول العظمى من مشروعات للإصلاح الاجتماعى ، فحتى فى هذه الحرب لم تعدم الانسانية أنصارها العاملين لها ... ولئن كان فى الميادين نيران وقودها الناس والأموال ، فخلف الميادين علماء يعرفون أن لهذه الفتنة نهاية ، وأنه لابد من طريق معبدة أمام الانسانية ، طريق تضمن الحياة الآمنة لكل فرد فى العالم ، وما مشروع (بيفردج) للتأمين الاجتماعى سوى مثل لما تفكر فيه الأمم الراقية من مشروعات اجتماعية تسير عليها حالما تضع هذه الحرب أوزارها و يرفرف السلم علينا بألويته .

نحن هنا فى مصر دورنا أكبر من دور هذه الأمم ، لأن ميدان الاصلاح فى كثير من مرافقنا مايزال بكرا . لهذا فرضت على وزارة الشؤون الاجتماعية تبعات خطيرة ، ومسئوليات جسام.

وان وزارة الشعب وعلى رأسها حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا ، لتضع فى المكانة الأولى من عنايتها واهتمامها ، خدمة مختلف طبقات الشعب من كل وجه تستطيعه ، وبكل جهد تملكه ، وبكل ما تيسر لها من مال ، رغم ماتلاقيه من صعوبات بسبب ظروف الحرب الحاضرة .

سيداتى ، سادتى :

هذه هى رسالة وزارة الشؤون الاجتماعية ، تضطلع بها أحسن ما تضطلع ، وتؤديها أفضل الأداء ، ولقد مضت الوزارة ولا تزال تمضى فى سبيلها قدما بلا توقف أو تردد أو نكوص ، وهى أشد ما تكون تحمسا لأداء واجبها أثناء فترة الحرب وما بعدها ، وأمضى ما تكون عزما على القيام بالدور الذى فرض عليها ، وقد جعلت قصارى جهدها إصلاح حال السواد الأعظم من الشعب الماثل فى الملايين العديدة من صغار الزراع ومن العمال ، عاملة مجاهدة فى مكافحة الفقر والعوز ، والتسول والتشرد ، ونشر الثقافة الشعبية ومكافحة الأمية ، واستئصال كل ما يهدد كيان الأسرة المصرية ، ومكافحة البطالة بين العمال وبث روح التعاون بين أفراد الشعب وجماعاته ، وإصلاح السجون لتكون أداة تهذيب و إصلاح ، وتهيئة الأسباب التى تكفل للمسجون بعد الإفراج عنه سبل الارتزاق حتى لا يعود إلى هذه المساوىء مرة أخرى .

وتبذل وزارة الشؤون الاجتماعية فى سبيل تحقيق هذه الأغراض الجهد الكثير والمال الوفير . فكم من تشريعات صدرت أو فى طريقها إلى الصدور لتحسين حال العمال وتنظيم علاقاتهم بأصحاب الأعمال وتعيين حد أدنى لأجورهم ، وتحديد ساعات عملهم ، والاعتراف بنقاباتهم وتأمينهم ضد العجز والشيخوخة وإصابات العمل .

وكم من مطاعم شعبية أنشئت وستنشأ لتوفر للفقراء غذاء صحيا بثمن زهيد .

وكم من مكاتب مساعدات اجتماعية افتتحت وستفتتح بمختلف أرجاء القطر لتفحص حالة الأسر الفقيرة ، فتمدها الوزارة بعونها المادى .

ذلك كله عدا عشرات المئات من الجمعيات التعاونية التى تؤسسها وتشرف عليها لمساعدة صغار الزراع فى القرى وذوى الايراد المحدود فى المدن ، وعدا المراكز الاجتماعية التى أعدت للنهوض بالفلاح فى مرافق حياته ، وعدا الهيئات الرياضية التى توجهها ، والساحات الشعبية التى تنشرها ، والسجون والملاجئ التى تديرها ، والجمعيات الخيرية التى تمدها باعاناتها للمساهمة فى مساعدة الطبقات الفقيرة وتحسين مستواها الاجتماعى .

سيداتى ، سادتى :

هذه بالاجمال أعمال وزارة الشؤون الاجتماعية ومناهجها ، وتلك غاياتها وأغراضها ، وقد دب فيها النشاط فى عهد وزارة الشعب ، فأصبح لها أثر ملموس فى خدمة كل طبقة عاملة ، وكل أسرة معوزة ، وكل شخص جدير بالمساعدة .

على أن هذه الوزارة لا تستطيع أن تؤدى رسالتها كاملة غير منقوصة ، إلا بمساعدة القادرين ومساهمة الشعب نفسه فى أداء هذا الواجب الوطنى .

فمن واجب الأولين أن يقدموا الفائض من أموالهم وجهودهم للخدمة فى ميدان النهضة الاجتماعية التى نبتغيها لهذا الشعب . وعلى الشعب أن يتعرف الى ما نريد له من نهضة ، بإقامة المؤسسات الاصلاحية والمنشئات الاجتماعية ، فيقبل عليها ، وينتفع بها ، ويعمل بما توجهه اليه الوزارة من نصح وارشاد سواء بما تنشره فى مجلتها أو يلقيه كبار موظفيها من محاضرات أو يذيعه المشتغلون بالمسائل الاجتماعية عليه من إرشادات .

فان هذه الوزارة لم تقم إلا لسواد الشعب ونصرة قضيته ورفع كلمته ، فهى جزء من وزارة الشعب ، ووزارة الشعب ملك للشعب ، تسلك كل سبيل لراحته ، وتجشم كل صعب لبناء مجده ونهضته فى ظل جلالة الملك المعظم حفظه الله وأبقاه .

وانى لأرجو من الله مخلصا أن يوفقنا الى ما فيه خيركم ورضاكم ، فإن رضاء الأمة من رضاء الله ، ورضاء الله هو كل ما نتمناه .

والسلام عليكم ورحمة الله .

النشاط الاجتماعى العام

مشروعات الموسم

مكافحة الأمية — علاج التشرد — الاصلاح الزراعى

كانت مشروعات الموسم فى العام الماضى هى " مشروع تحسين الصحة القروية " الذى نهضت به وزارة الصحة ، و "مشروعات الضمان الاجتماعى المختلفة لطوائف العمال" وقد نهضت بها وزارة الشؤون الاجتماعية ، و "مشروع استخدام اللغة العربية " وهو كذلك من اقتراح هذه الوزارة وتحضيرها . وقد تحدثنا عن هذه المشروعات جميعا على صفحات هذه المجلة فى ذلك الحين .

وللموسم الحاضر فى هذا العام مشروعاته العظيمة كذلك ، ونحن نعنى باصطلاح "مشروعات الموسم" أهم المشروعات الإصلاحية ذات الأثر الحاسم فى الإصلاح الاجتماعى ، والتى تستطيع حين تنفذ تنفيذا صحيحا كاملا أن تحدث تطورا أساسيا فى بناء المجتمع المصرى . والمشروعات الثلاثة التى عنونا بها لهذا المقال هى من هذا النوع بلا جدال . فلنقل كلمة مختصرة عن كل من هذه المشروعات .

مكافحة الأمية

لقد قلنا : إننا تخلفنا عن ركب العالم المتمدين فى علاج الأمية . وقبل ربع قرن فقط ، أى قبل أن تتولى الأيدى الوطنية الهيمنة على شؤون التعليم ، كانت نسبة القارئين لا تتجاوز ٤ ٪ فالحمد لله على أنها أصبحت اليوم تقارب ٢٠ ٪ ولعل بعض الأرقام هنا تستطيع أن تدلنا على الخط البيانى لحركة التعليم .

ففى عام ١٩١٩ كان مجموع المدارس الأولية للبنين والبنات فى طول البلاد وعرضها ١٤٠ مدرسة ، تضم ١٧٣٥٨ تلميذا وتلميذة . ولم يكن هناك إلا روضتان للأطفال واحدة فى القاهرة والأخرى بالاسكندرية تضمان ١٧٥ تلميذا وتلميذة .

وكان عدد المدارس الابتدائيـة سواء ماتديره الوزارة أو مجالس المديريات أو الأهالى لا يتجـاوز ١٢٢ مدرسة، تضم ٢٢٠٣٦ تلميذا يضاف إليهـا ٣٧ مدرسة للبنـات تضم ٤٠٢٥ تلميذة .

أما المدارس الثانوية فكان عددها سبع للحكومة و٣٥ للأهالى ومجموع تلاميذها ٧٥٥١ تلميذا ولم تكن توجد مدرسة ثانوية واحدة للبنات، فكان تعليمهن مقصورا بعد التعليم الأولى أو الابتدائى على مدرسة المعلمات الأولية ومدرسة المعلمات السنية .

وكذلك كان التعليم العـالى مقصورا على مدارس الطب والهندسة والحقوق والمعلمين ودار العلوم والتجارة العليـا . أما التعليم التجارى والزراعى الفنى فكان محـدودا محصورا فى مدرسة التجارة المتوسطة ومدرسة الفنون والصنـايع ببولاق ومدرسة الفنون الجميـلة ومدرستين للزراعة المتوسطة .

فى هذا النطـاق الضيق كانت تسير حركة التعليم قبـل ربع قرن ، وقد كان لعهـد الاستقلال أثره فى توسيع هذا النطـاق فأصبحنا فى سنة ١٩٤٣ وتلاميـذ المدارس الأولية يبلغون المليون، وجملة التلاميذ فى المدارس الابتدائية والثانوية حوالى ٧٠٠,٠٠٠ ولنا جامعتان ومعهدان عاليان للتربية بنين وبنات، وعدد المدارس الفنية والصناعية والزراعية والتجارية ثمانون معهدا ... ... الخ .

وكل هذا يبشر بالخير، ولكنه لا يحل المشكلة الأساسية مشكلة الجهل أو مشكلة الأمية فإن نسبة القارئين — كما قلت — لا تتجاوز ٢٠ فى المـائة ، ومعنى ذلك أن هناك نحو ٨٠ فى المـائة من مجموع هذا الشعب تجهل القراءة والكتابة ، أى أن كتلة الشعب العامة لا تزال محجوبة عن الحيـاة . لا تستطيع استخدام حقها الإنسانى على الوجه الصحيح من ناحية اتصالها بالعالم ومسايرتها للحياة فى القرن العشرين .

وبيان ذلك أن الرجل الجاهل لا يستطيع أن يحسن استعمال حقه ، لأنه لا يزن الرجال ولا الحوادث بميزان صحيح، ولا يستطيع كذلك أن ينجح فى الحياة العملية كما ينجح المتعلم لأنه لا يملك أقوى سلاح من أسلحة الصراع المعاشى والقانونى فى المجتمع، ولا يستطيع أن يكون عضوا نافعا فى الهيئة الإنسانية لأنه مكفوف عما يجرى فى العالم من اتجاهات .

ومن هنا تبدو أهمية " مشروع مكافحة الأمية " وتتضح أهدافه القومية والانسانية . فهو محاولة كبرى لعلاج نصف أمراض المجتمع المصرى ، وعلاجها من الأساس ، وهو فى الوقت ذاته محاولة لمكافحة الفقر عن طريق غير مباشر .

ومن هنا كان مشروعا من " مشروعات الموسم " .

علاج التشرد

مصر بلد الشحاذين ، هـذا مع الأسف الشـديد هو أحد عنوانات مصر فى قاموس الأجانب . ولم يكن بد من أن تكون مصر كذلك ، لأن جميع أسباب التشرد تجتمع فى حياتها العامة والخاصة . ولم تكن تجد من العناية بالمشكلة إلا القدر التافه الضئيل . قبل المشروع الكبير الذى تهم به وزارة الشؤون الاجتماعية فى هذه الأيام . وقبـل أن نتحدث عن هذا المشروع يحسن أن نذكر نبذة عن بعض أسباب التشرد فى اختصار :

فى مقدمة هذه الأسباب : الفقر : وللفقر أسبابه المتشابكة من الجهل والمرض وسوء توزيع الثروة ، وضعف الروح الاجتماعية ، وفقدان التعادل بين الجهد والجزاء ، وقـلة الضمانات الاجتماعية وضيق الموارد العامة . . إلى آخر هذه الأسباب .

ومنها المرض أو الشذوذ ، وكلاهما يؤدى إلى فقدان العائل أو سوء سلوكه أو توريثه أطفاله شذوذا خاصا ، وكلها وسائل مؤدية إلى التشريد من قريب أو بعيد .

ومنها المخدرات والخمور ، ويمكن إضافتها الى المرض والشذوذ ، وكثيرا ما يكون إدمانها ناشئا عنهما أو مؤديا إليهما . فالإدمان والمرض والشـذوذ مسالك تؤدى إلى غاية واحدة فى مشكلة التشرد .

ومنها العجز عن العمل وعن كفالة الأطفال أو موت العـائل . ويمكن إضافتها إلى قائمة المرض على حد سواء فى النتيجة .

ومنها الشقاق بين الزوجين وتحطم الأسرة لسبب من الأسباب التى لا تحصى وفى مقدمتها الجهل بفن الحيـاة الزوجية وسهولة الطلاق ، وفقـدان الضمانات للأطفال فى حالة تحطم الأسرة .

ومنها فساد المسكن وضيقه وفقره مما يجتذب الطفل إلى الشارع فيقوده هذا إلى الشرور ويلقيه فى أحضان العصابات التى تلقف الأطفال وتدربهم على حياة الإجرام .

ومنها تشـغيل الأحداث فى سن مبكرة على الرغم من القوانين الموضوعة لهذا الغرض ، أو سوء معـاملة " الأسطوات " لهم وأثرها كأثر فساد المسكن فى هروب الطفل وإيثاره حياة الشرود على حياة العمل المرهق المضاد لغرائزه وميوله .

ومنها وجود عصابات وظيفتهـا إغراء الأطفال وتدريبهم على الجرائم بوسائل شيطانية لا يستطيع هؤلاء الصغار معرفة نتائجها فى أول الأمر ولا يستطيعون الخلاص منها فى النهاية .

ومنها ضيق الإصلاحيات عمن ترسل بهم إليها محاكم الأحداث . وهذا الضيق يساعد مشكلة التشرد عن طريقين أولها: ترك عدد من المحكوم عليهم خارج الإصلاحيات . وثانيهما: حشر طوائف الأحداث المختلفى المشارب فى دار واحدة فيأخذ بعضهم من بعض ويزدادون استعدادا لجرائم جديدة لم تتهيأ لهم معرفتها فى الخارج . فيعرفها بعضهم من بعض فى داخل الإصلاحية نفسها !

وليست هذه الأسباب التى ذكرناها إلا "عينة" من الأسباب الكثيرة الأخرى ، وهى "عينة" تعتمد على الحدس وعلى الظواهر ما دامت ليست لدينا إحصائيات مفصلة عن المشردين وعن أسباب التشريد الحقيقية وظروف كل حالة .

نعم لدينا بعض الإحصائيات عن أطفال الإصلاحيات وعن الأطفال الذين تعنى بهم بعض الهيئات ، ولكنها لا تؤدى إلى الغاية المطلوبة . وإن كانت تفى للإشارة إلى تشعب المشكلة .

وقد بلغ عدد الأطفال المشردين رقما ضخما مع أن إحصاءهم لم يكن دقيقا ، لأن أحدا لم يحاول هذا الإحصاء على أصوله العلمية المقررة .

والمشروع الكبير الذى تهم به وزارة الشؤون الاجتماعية فى هذه الأيام سيشمل نحو ستة آلاف من هؤلاء المشردين . وليست قيمة هذا المشروع فى العدد ولكن فى تغير العقلية التى تتصدى لعلاج المشكلة على وجه جديد .

فلقد كان أقصى علاج للمشكلة من قبل ، أن نأمر البوليس بمطاردة هؤلاء الصبية وأن يقبض على من تصل يده إليهم .

فالمشروع الجديد يعترف لهؤلاء المشردين بالحق فى العناية الإنسانية ويعدهم مجنيا عليهم لا جناة ، ويحاول أن يردهم إلى المجتمع عن طريق الإصلاح والتربية والإعداد للحياة .

والواجب انتهاز فرصة تلك النهضة لوضع أسس صحيحة للوقاية وللعلاج . فالتشرد ظاهرة من ظواهر مرض أصيل ذكرنا بعض أسبابه فيما تقدم ، فعلاج هذه الأسباب قد يقضى على الظاهرة من أساسها ، ويعفينا من كثير من الأعباء التى لا بد أن نحتملها فى تربية المشردين وإصلاحهم .

على أن ما ذكرناه من الأسباب إنما هو "تخمين" ما دمنا لم نقم بدراسة شاملة لأسباب التشرد مبنية على الإحصاءات والتحريات الواقعة لا على مجرد الفروض .. والواقع أننا فى حاجة إلى منهاج ضخم ولا شك أن معالى وزير الشؤون الاجتماعية سيعنى بوضع هذه المشكلة على أسس علمية ومنهاج سليم .

وقد رصدت وزارة الشؤون الاجتماعية من ميزانيتها المحدودة مبلغ ١٢٠,٠٠٠ جنيه. فإذا قامت بهذه الإحصاءات والدراسات، فإنها تستطيع حينئذ أن تطلب من الدولة الاعتمادات الكافية وأن تطلب إلى الأمة المساهمة كذلك على نحو ما ساهمت فى مشروع تحسين الصحة القروية فيستجيب لها الجميع .

* * *

الإصلاح الزراعى

وهذا المشروع الثالث تنهض به وزارة الزراعة ، ونحن نعده من مشروعات الموسم ، ونضمه إلى قائمة " النشاط الاجتماعى " لأن كل مشروع لترقية الحياة الريفية من أى جانب هو مشروع اجتماعى قبل كل شىء .

وقد وضعت وزارة الزراعة مشروع قانون الإصلاح الزراعى القروى على ضوء تجارب الماضى ، والتبصر لحاجات المستقبل، وذلك بإنشاء مجموعات زراعية كل مجموعة منها تضم ما يقرب من ١٥,٠٠٠ فدان تعمل على النهوض بالإصلاح الزراعى ورفع مستوى الإنتاج بنوعيه وترقية الأحوال المادية للفلاح ، والعناية بتربية الحيوان وتقديم المعونة لجمعيات التعاون الزراعى وتشترك مع وزارة المعارف فى تطبيق مناهج التعليم الزراعى بالمدارس الأولية فى القرى وينشأ فى المجموعة حقل نموذجى به مشتل وحظائر ومؤسسة لنشر الصناعات الزراعية ووحدة بيطرية ومستشفى للحيوان ومجزر وينشأ لكل مجموعة مجلس زراعى قروى من أشخاص يعينهم وزير الزراعة .

ولكى ندرك أهمية مثل هذا المشروع الكبير يجب أن نلق بالنا إلى تأخر مصر — البلد الزراعى الأول فى التاريخ — عن جميع البلاد الزراعية المتحضرة فى الأخذ بوسائل الإنتاج الحديثة ، وفى إيجاد الصناعات الزراعية ، وأن نعقد موازنة سريعة بيننا وبين بعض البلاد الزراعية التى أخذت بهذه الوسائل .

فها هى ذى أمة صغيرة كالدانمارك، سكانها أقل من أربعة ملايين ، ولا تزيد مساحة أراضيها الخصبة على مليون فدان ، ومع ذلك أصبحت ثروتها الحيوانية منبعا من منابع ثروتها وجزءا هاما من صادراتها . ويكفى أن نذكر أرقام ما كانت تملكه قبل الحرب من الثروة الحيوانية لتظهر هذه الحقيقة .

فقد كانت تملك ٣,٥٠٠,٠٠٠ رأس من الماشية و ٢٠,٠٠٠ رأس من الأغنام و ٥,٠٠٠,٠٠٠ رأس من الخنازير و ٢٢,٠٠٠,٠٠٠ دجاجة ، ونحو نصف مليون حصان ، وبلغت صادراتها ما قيمته نحو خمسين مليونا من الجنيهات أكثر من نصفها خاص بالثروة الحيوانية.

أما المملكة المصرية الخصبة الواسعة الأراضى فبعد أن كانت تصدر سنويا نحو مائة ألف رطل من السمن ومقدارا معينا من الجبن والجلود ، تدهورت هذه الصادرات الضئيلة وأصبحت تستورد قبل الحرب بمبالغ ضخمة من المنتجات الحيوانية كل عام . فهى مثلا كانت قبل الحرب تستورد أغناما بما قيمته ٨٠,٠٠٠ جنيه ،وماشية وجاموسا بمبلغ ٧٠,٠٠٠ جنيه وبغالا بمبلغ ١٥٠,٠٠٠ جنيه ودجاجا وطيورا بمبلغ ٢٥٠٠ جنيه ولحوما بمبلغ ٥٢,٠٠٠ جنيه ،ومنتجات ألبان بمبلغ ٣١٠,٥٠٠ جنيه وسمادا كيماويا (يمكن الاستغناء عن جزء كبير منه بالسماد الحيوانى لو توافر) بما يزيد على مليونين من الجنيهات .

ومعنى هذا أن مصر البلد الزراعى لا يكفى نفسه من المنتجات الحيوانية ، ودع عنك ما كان يجب أن يصدره كما تصنع البلاد الزراعية وفى مقدمتها الدانمرك وأستراليا .

وتطول بنا الموازنة لو رحنا نتتبع جميع المنتجات الزراعية والحيوانية فى مصر وفى البلاد الزراعية الأخرى كهولاندا واستراليا وبعض الولايات الأمريكية . وكل مابيننا وبين هذه البلاد من فروق ، هو أنها تضع إنتاجها الزراعى والحيوانى على أسس علمية حديثة ، وأننا لانزال نجرى على الأسس البدائية فى الزراعة وفى تربية الحيوان .

وقد نشأ هذا عن الجهل أولا ، وعن الفقر ثانيا ، وهما علة العلل فى كل ما يصيبنا من نكبات ، فالجهل يحول بين الفلاح المصرى وبين التفكير فى الأخذ بالوسائل الحديثة فى الإنتاج. والفقر يحول بينه وبين استخدام الآلات فى الزراعة . وكل إرشاد نظرى لا يجدى مع هذه الحالة ، فلابد من إرشاد عملى ومن نماذج واقعية يحتذيها هذا الفلاح المحروم من العلم والتعاون .

والمشروع الحاضر كفيل بعلاج هذه الأمور علاجا عمليا محسوسا ، وهو لايتضامن مع وزارة المعارف فحسب فى البرنامج الدراسى لمدارس التعليم الأولى . بل يتضامن كذلك مع وزارة الشؤون الاجتماعية فى برنامج التعاون ، ومع وزارة الصحة فى برنامج تحسين الصحة القروية .ومن الخير أن يقع هذا التضامن بين برامج الوزارات المختلفة المتعلقة بالإصلاح العام .

وسيجد خريجو المعاهد الزراعية والبيطرية المجال واسعا أمامهم لتطبيق معلوماتهم والانتفاع بكفاياتهم ، فلم يكن أعجب من تعطل خريجى هذه المعاهد فى بلد زراعى تقوم ثروته الأساسية على الزراعة .

* * *

هذه مشروعات الموسم ، وهو موسم حافل ولو اقتصر على هذه المشروعات وحدها . والمنتظر أن توضع الأسس الثابتة لهذه المشروعات الإصلاحية الكبيرة ، لتؤتى ثمارها بصفة وطيدة دائمة .

مشكلة التسوّل

لحضرة صاحب السعادة الدكتور سليمان عزمى باشا
عميد كلية الطب

إن الشعب المصرى الكريم شعب محسن غاية الإحسان، ولكنه لاينظم إحسانه وتوزيع صدقته وزكاته، والمسلمون منه يحبون الإحسان أسوة بالنبي الكريم الذى كان أجود مايكون متبعا قوله تعالى : (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) وقوله تعالى : (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) .

ولمناسبة قيام الحكومة بمنع التسوّل رأيت الفرصة مناسبة جدّا لأن أتحدث فيها عن هذه المشكلة لعلى أوفق إلى الغرض الذى أقصده وهو توجيه الشعب المصرى الكريم إلى تنظيم إحسانه. وسأعرض أثناء الحديث بعض النقط الهامة فى نظرى على الرأى العام ليناقشها حتى يزيد الموضوع جلاء ووضوحا أمام القائمين على شئون الأمة خصوصا وزارة الشؤون الاجتماعية.

فالمسألة خطيرة وتتطلب علاجا ناجحا فعالا لمنع التسوّل منعا باتا لارجعة فيه، ولا يمكن ذلك إلا إذا عولجت الأمور من مسبباتها واستؤصلت من جذورها ، لا علاجا صحيا مؤقتا لا يلبث أن يعود بعده التسوّل إلى ما كان عليه ، وذلك بمعالجة الفقر الذى نتج عن إهمال الناس وتعاونهم وعدم وضع أسس ثابتة صحية للاحسان تراعى فيها المصلحة الاجتماعية الدائمة .

* * *

والتسوّل كما هو عليه الآن فى مصر وصمة عار ظاهرة على القطر المصرى بأكمله حكومة وشعبا وهيئات خيرية وأفرادا ... حكومة، لعدم اتخاذ الوسائل لمنع أسبابه ونشكرها إذا أخذت في ذلك الآن — ولا شك عندى أن وزارة الشؤون الاجتماعية ستقوم بهذه المهمة خير قيام، رغما عن تشعبها واتساع نطاقها وصعوبتها — وشعبا وهيئات خيرية ، لعدم قيامها بشكل منظم بواجبها نحو البؤساء والفقراء للمساعدة على إيوائهم وتخفيف ويلاتهم ، وأفرادا ،

لإحسانهم على محترفى التسول والتساهل فى إعطاء القرش للسائل بدل اشتراكهم فى جمعيات خيرية لهـذا الغرض وبهذا التساهل يشجعون المتسولين ، ولا شك عنـدى أن المصريين سيقدرون هذه الظروف .

ومنع التسول أمر حسن وحسن للغاية ولكن كيف الوصول إليـه ؟ فالمشكلة ليست كغيرها تحل بمجرد إصدار قانون والاعتماد على تنفيذه بواسطة الإدارة والبوليس ، وهـذه الهيئات الخيرية فضلا عن قيامها بواجبها فانها مرهقة بكثرة الواجبات وتعددها .

ومما يساعد على منع التسول علاج الأمراض المضعفة للبنية المنهكة للقوى . وعلاج المدمنين على المخدرات وجود دور خاصة بالمصابين بالأمراض المستعصية والمزمنة و إنشاء ملاجىء للعجزة وذوى العاهات كافية لإيواء الفقراء وغير القادرين على الكسب وأمثالهم ، وكذا زيادة عدد الملاجىء الخاصة لإيواء الأطفال المتشردين وتعليمهم وتدريبهم على مهن يكتسبون منها ، و إيجاد عمل للعاطلين والاستمرار فى محاربة المخدرات . ولو عولجت الأمراض القابلة للشفاء وأعدت الأماكن الكافية لإيواء العجزة والمصابين بالأمراض الغير قابلة للشفاء و زيد عدد الملاجىء عامة وللأطفال خاصة لقل حتما عدد هذه الفئة من المتسولين . ولا بد أيضا من التفكير من الآن فى مشكلة العمال العاطلين قبل ظهورها .

ولو قمنا بعمل أطراف صناعية لمن بترت أرجلهم ونظارات لمن ضعف نظرهم ووجدت الدور للنقاهة ينتقل إليهـا المريض بعد تمام شفائه فى المستشفيات ليتغذى و يعتنى به فى جو صحى حتى يسترد قواه و يصبح قادرا على العمل ، لكان لذلك أطيب الأثر فى عدد لا يستهان به من المضطرين للتسول لفقرهم ومرضهم وضعف صحتهم وعدم مقدرتهم على الكسب من طريق آخر .

من هنا يتبين جليا بعض فوائد ومقاصد مشروع يوم المستشفيات الذى دعونا له هذا العام . ولنا فى نظام بعض الممالك الراقية أسوة حسنة . يلخص هذا النظام فى الاحتفاظ ببعض الحرف والمهن ، فالتجارة الخفيفة التى لا تتطلب مجهودا قويا لبعض ذوى العاهات الغير معدية والمصابين ببتر أو غير ذلك مما يجعلهم غير قادرين إلا على الأعمال التى لا تتطلب مجهودا بدنيا كبيرا .

ولو أدخل هذا النظام فى بلادنا وروعى العمل به أثناء إعطاء الرخص لساعد ذلك كثيرا على إيجاد عمل مربح لهذه الفئة .

هذه الفئة التى ذكرتها من المتسولين ممن اعتلت صحتهم وأصيبوا بالعاهات إلى آخره هم من اسميهم المضطرين إلى التسول مرغمين مكرهين كارهين و بعضهم بحكم الممارسة وتعود التسول يتحول إلى متسول محترف .

وأما فئة محترفى التسول فأعود قائلا أنهم آفة اجتماعية ووصمة أخلاقيـة ومثلهم كمثل المصابين بأمراض عقليـة أو نفسية أو شذوذ عقلى نفسى ... أقول ذلك لتماشى تسميتهم بالمتشردين أوالمجرمين ولكنى أجد نفسى مضطرا أن أسمى بعضهم بهذه التسمية لما أشاهده ممن يستهوون الأحداث ويدربونهم على التسول ويتسولون على ما يجمعونه من نقود وغيرها .

فهؤلاء مجرمون خطرون على الهيئـــة الاجتماعية يدعون أن التسول فن ، بدون أى خجل ... نعم أنه فن ، ولكنه فن مرذول قبيح . يقف هؤلاء المحترفون فى أماكن يختارونها لاصطياد المحسنين ومضايقتهم ، معتبرين أن تصنع العاهات فن ، وما ذلك بفن ، ولكنه احتيال تجب محاربته والقضاء عليه .

هـــذه الفئة من محترفى التسول يجب عزلها فى ملاجىء أو اصلاحيات خاصة كما يفعل بالأحداث ذوى النزعة الإجرامية والمتشردين منهم ، على أن يعاملوا باللين والرفق ، وعلى أن يدربوا على مهن وحرف يكتسبون منها ، وتلقى عليهم دروس وعظات على قدر ما يفهمون لإصلاح حالتهم النفسية والعقلية حتى يقلعوا تماما عن هذه العادة المرذولة ، ويعودوا تدريجيا إلى طريق الكسب الشريف .

إن بعض محترفى التسول يتحايل ليقلد عاهة مرضية يتظاهر بها أمام الناس استدرارا لعطفهم واستغلالا لشفقتهم ورحمتهم على البائسين والمرضى .

هؤلاء هم حقا مرضى العقول والنفوس ، ويجب اعتبارهم كذلك ومعاملتهم كمرضى وحجزهم وتعليمهم فى الاصلاحيات وعلاجهم .

وأما من كبروا وتأصلت فيهم عادة التسول ولم تنجح معهم هـذه الطرق الإصلاحية فليس لهم سوى العزل فى ملاجئ خاصة بهم .

وأما المجرمون منهم فلا رادع ولا وازع لهم سوى العقوبة .

* * *

وإن أتمت الحكومة هذا العمل بكل فروعه ونواحيه ، فإنهـا تسدى إلى مصر أكبر خدمة تستحق عليها أعظم شكر وأجل تقدير .

وعلى الشـعب أن يساعد الحكومة والهيئات الخيرية ، فيعطى ما يجود به إلى الهيئات الخيرية ولا يعطى للمتسولين ، وأن ينظم كل فرد منا إحسانه فيضع ثمنه فى جمعية بر ما ، يعتقد فى صحة أغراضها وسلامة إدارتها لتنوب عنه فى رعاية البائسين ، أو يساعد عائلة ما أخنى عليها الدهر إلى غير ذلك ، ليبرئ ضميره ويريحه بأنه قام نحو الهيئة الاجتماعية بواجبه نحو أخيه الإنسان البائس .

إنى أعلم علم اليقين، بوجود فئة صالحة محسنة، لاتعلم يسراها ما تعطيه يمناها . بل قلما نسمع عنهم ، يبرون البائس واليتيم والمحروم ومن أخنى عليهم الدهر ، ممن يحسبهم الجاهل بحالتهم أغنياء من التعفف — هـــذه الفئة الصالحة تساعد عن طيب خاطر فى أعمال البر والإحسان بدون أى تظاهر .

فإن فعلت ذلك أيها المصرى الكريم، واشتركت فى هيئة من جمعيات البر، فإنك لن تجزع ولن تحزن ، ولن يؤنبك ضميرك إذا ما امتنعت عن إعطاء السائلين فى الطرقات . وأما إذا استمر أفراد الشعب فى الاحسان جزافا و بغير انتظام ، واستسهل دفع القرش بدل تحمل مضايقة السائلين وبدل الارتباط بدفع مبلغ معلوم ، فإنهم يقفون فى سبيل المصلحين ، بدل أن يعاونوا الحكومة ويساعدوها فى القضاء على هذه الرذيلة .

اضرب مثلا من سخاء المصريين فى الاحسان ما يصرف فى القرافة . نرى من الواجب اكرام القائمين على شئون المقابر ، ونبرر صرف الاحسان باعتدال فى هذه المناسبة وأن من اللائق وضع شىء من الزهور والرياحين على القبور .

ولكن المغالاة فى غير ذلك من اقامة الموائد والاسراف لا نرى لها مبررا ولا مثيلا فى البلاد الأخرى وها نحن نعيش بيننا جاليات أجنبية مختلفة لم نشاهد عندها شيئا من هذا .

ووجه الغرابة أن الأغلبية الساحقة من المتنورين يقاومون ذلك بالاقلال و يودون الإقلاع عن هذه العوائد ولكن الكل يخشون الانتقاد وملامة اللائمين . ولو نظم جمع نصف ما يصرف فى هذه الوجوه لكفى لإنشاء جملة ملاجئ لإيواء الفقراء والبائسين .

توجد مسائل أخرى نرجئ بحثها لفرصة أخرى لضيق المقام . وأنوه فقط بأن النساء اللاتى يحملن الأطفال أو يصطحبنهم للتسول فى الشوارع يأتين عملا شائنا مؤلما خاليا من الرحمة والانسانية ، فيه كثير من القسوة على الأطفال، مؤذ اجتماعيا ، لأنه يعود هؤلاء على التشرد وممارسة التسول من صغرهم . وفيه مذلة لنفوسهم لا نجد له مثيلا فى أى بلد آخر .

سليمان عزمى

فى مفرق الطريق
بين القومية والعالمية

بقلم الأستاذ سيد قطب

قررت الحكومة إباحة استيراد البرتقال من الخارج فى الموسم القادم بعد أن كانت قد منعته منذ سنوات ، فابتهج لهذا القرار ملايين من المستهلكين ومعظمهم من الفقراء الذين أعجزهم الغلاء الفاحش فى هـذه السنوات عن استكمال غذائهم ، وحرمهم حتى تلك الفاكهة الرخيصة فاكهة البرتقال . واحتج على هذا القرار بضعة نفر من أصحاب مزارع الفاكهة الذين عاد عليهم منع الاستيراد بالفائدة العظيمة طوال هذه السنين ، ولا سيما سنوات الغلاء .

وكانت حجة الحكومة فى إباحة الاستيراد من الخارج أن الأسعار هنا وصلت — بسبب قلة الفاكهة — إلى حد لايستطيع معه الفقراء ولا ذوو الدخل المحدود على العموم أن يشتروا شيئا من الفاكهة لهم ولأبنائهم ، بينما أسعار بعض الفواكه فى بلاد متاخمة لنا زهيدة جدا ، بحيث لا تصل بعد تكاليف شحنها إلى ربع الثمن المحلى فى مصر ، وأن هـذا يحتم فتح باب الاستيراد تيسيرا على هؤلاء الملايين من المستهلكين ، ولو تضرر عشرات أو مئات من أصحاب مزارع الفاكهة ..

أما أصحاب المزارع فراحوا يحتجون بأن " المصلحة القومية " تقتضى إفساح الطريق للفاكهة المحلية لتشجيع الملاك على الإكثار من زراعة أشجار الفاكهة ، وأن هـذه المصلحة القومية تقتضى كذلك عدم إخراج النقود من مصر بشراء الواردات الأجنبية .

وهذا القرار بما أثاره من خلاف بين وجهتى النظر يثير مسألة أساسية أكبر من مسألة البرتقال والفاكهة . تلك المسألة هى : أى السياستين أصلح للمستقبل : سياسة الحماية الجمركية للإنتاج المحلى ولو أدت هذه الحماية إلى ارتفاع الأسعار وزيادة التكاليف على المستهلكين ، أم سياسة التجارة الحرة المؤدية الى خفض الأسعار ولو نشأ عن ذلك بعض الضرر للإنتاج المحلى .

فأما نحن فلا نتردد — حين يكون وضع المسألة كما هو فى حكاية البرتقال — فى أن نؤيد قرار الحكومة ، وفى ألا نلقى بالنا الى حجج زراع الفاكهة الواهية ولو ارتدت ثياب المصلحة القومية ، ذلك أنه من المصلحة العامة أن يستطيع المستهلكون — ومعظمهم من

الفقراء — الحصـول على حاجياتهم — ولا سيما الغـذاء والكساء — بأيسر التكاليف ، ولا عبرة بمصلحة بضعة نفر من أصحاب رءوس الأموال الذين يهمهم وحدهم الحصول على أكبر ربح ، ولو كان ذلك سببا فى تصعيب الحياة على الملايين ! .

نعم قد يجوز التردد أمام الأخذ بإحدى السياستين ، اذا كانت هناك صناعة محلية قائمة تستغرق كثيرا من الأيادى العاملة ، ولو تركت بغير حماية جمركية تموت وتتعطل الأيدى العاملة فيها . ففى هذه الحالة يقف الإنسان للموازنة بين النفع الذى يعود على المستهلكين لو ترك باب الاستيراد مفتوحا فانخفضت الأسعار بسبب المنافسة ، وبين الضرر الذى يحيق بالأيادى العاملة من التعطل لو ماتت هذه الصناعة القائمة . وعلى نتيجة الموازنة ينبغى اتخاذ سياسة معينة .

أما فى مثل حالة استيراد الفاكهة فهذه الموازنة لا معنى لها إذ أن زراعة الفاكهة لا تستغرق من الأيادى العاملة أكثر مما تستغرقه الزراعات الأخرى ، فالضرر الذى يعود من الاستيراد مقصور على بضع عشرات أو مئات من زراع الفاكهة ، وهؤلاء لا تساوى مصلحتهم الصغيرة المحدودة شيئا أمام المصلحة الكبيرة المحققة للجماهير التى تعد بالملايين .

وحين تتعارض مصلحة ملايين من الناس مع مصلحة عشرات أو مئات فإن أية سياسة اجتماعية رشيدة لا بد أن تفضل مصلحة أولئك على مصلحة هؤلاء ، وهو ما قامت به الحكومة المصرية حين قررت إباحة الاستيراد .

يجب ألا تخدعنا صيحات رءوس الأموال التى تموه مصلحتها الخاصة و تلبسها رداء القومية والوطنية ، فالقومية التى لا ينال الطبقة الفقيرة منها إلا (تعيرها) كما يقولون — هى قومية زائفة و تمويه يجب ألا يخدعنا عن حقيقة البواعث الشخصية لهذه الصيحات .

والمثل الحاضر فى استيراد البرتقال شاهد واضح على ما نقول . فلقد كانت العشر البرتقالات تباع بقرش على الأكثر فأصبحت الواحدة بعد حظر الاستيراد تبـاع بقرش على الأقل ، ولم يستفد من هذا الغلاء الا أصحاب مزارع الفاكهة وتجارها وهم طائفة محدودة قليلة العدد وعاد الضرر على المستهلكين الذين كانوا يجدون من هـذه الفاكهة الرخيصة تكملة لغذائهم تحوى بعض الفيتامينات والأملاح المفيدة .

وقد نشأ قرار حظر الاستيراد فى السنوات الماضية بناء على دعوى (المصلحة القومية) وهذه المصلحة لا تعنى فى مثل هذا الوضع إلا فائدة رءوس الأموال على حساب الشعب المحروم .

وقد يقال : إن هناك رءوس أمـوال أجنبية تنتفع بإباحة الاستيراد كما تنتفع رءوس الأموال القومية بمنعه ، وهـذا صحيح . ولكن الفـارق بين الحالتين ، أن الشعب يستفيد

فى الحالة الأولى رخصا فى الأسعار وتخفيفا فى الأعباء ويتمكن من التغذى بفاكهة مفيدة وأنه فى الحالة الثانية يحرم من كل هذه المزايا .

وهنا نصل الى مفرق الطريق بين القومية والعالمية ، ونواجه المسألة وجها لوجه . ويجب أن نكون صريحين فى مواجهتها ، وألا نخدع بالحجج المزيفة عن المصالح القومية . أى يجب أن نقول ، ان مصلحة رءوس الأموال هى مصلحة موحدة فى العالم بالقياس الى الطبقات الفقيرة ، وأن كل ما يسهل الحياة ويسر تكاليفها على الفقراء يجب أن يؤخذ به ، دون أن يؤبه لحكاية المصالح القومية المزيفة التى يحتج بها فى مثل هذه الأحوال ، كما احتج بها فى مسألة استيراد البرتقال .

ولقد أحسنت الحكومة صنعا فى أنها لم تصغ لهذا الكلام المزيف عن المصلحة القومية الموهومة ، ولم تأخذ بكلام أصحاب مزارع الفاكهة ، وهى بهذا ترجح مصلحة المستهلكين وهم يعدون بالملايين على مصلحة الملاك والتجار وهم حفنة لا يقاس عددها إلى أولئك الملايين .

نعم توجد حالات يكون من الخير فيها أن يتحمل المستهلكون بعض المصاعب فى ارتفاع أسعار البضائع المحلية . وذلك فى حالة واحدة أشرنا إليها فيما تقدم ، تلك أن يرجح خير الطبقات العاملة فى صناعة ما على الشر الذى يصيب المستهلكين من ارتفاع السعر ، وهى حالة قليلة الوقوع .

وقد لا يكون الرخص وحده مزية ، فقد يكون فى بقاء صناعة محلية وحمايتها من المنافسة رفع لمستوى طبقة من طبقات الشعب تنتج أو تنتفع ببقاء هذه الصناعة لأنها تدفع أجورا عالية لعدد كبير من العمال أو تستهلك محصولا يتقاضى العاملون فيه أجورا مناسبة . ففى هذه الحالة يكون من الخير أن يساهم المستهلك فى دفع هذه الأجور بالاقدام على استهلاك الصناعة المحلية الغالية ، لأن دفع أجور عالية يساعد على التوازن بين الإيراد وبين ارتفاع الأسعار .

أما منع الاستيراد أو رفع الرسوم الجمركية لحماية محصول أو إنتاج محلى ، لا يستفيد من حمايته إلا رءوس الأموال ، أى العدد القليل من المساهمين أو المنتجين ، فعمل لم تعد حجة المصلحة القومية تبرره ، وما هذه إلا ستار للمصالح الخاصة على حساب المستهلكين المساكين .

وكل من يجعلنى أدفع فى البرتقالة الواحدة قرشا بدل المليم ، وفى رغيف الخبز قرشا بدل نصف القرش ، وفى متر الكساء جنيها بدل ربع جنيه ، لا لشىء إلا ليستفيد بضع عشرات أو مئات من أصحاب رءوس الأموال ، ثم يحاول أن يموه على باسم الوطنية والقومية إنما يغشنى ويخدعنى ، ويستخدم الوطنية والقومية ستارا لأغراض شخصية ، ليس الشعب مكلفا بتحقيقها وتحمل نتائجها ، ومن واجب الحكومة أن تحمينى من هذا الغش ، وتعمل على تيسير الحياة لى من أى طريق كما صنعت فى مسألة البرتقال .

وقد يقال : إن رأس المال الذى يتمتع بالحماية والحظر هو رأس مال قومى ، وأن رأس المال الذى يتمتع بالحرية والاباحة هو رأس مال أجنبى ، وأن مصلحة الاقتصاد القومى تقتضى تفضيل الحالة الأولى على الحالة الثانية .

ولكن هذا منطق قديم لا نعتقد أنه يتفق مع العالم الجديد . العالم الذى سيقوم على الحريات الأربع وفى مقدمتها : التحرر من الجوع . فحين تصل المسألة إلى المساس بالغذاء والكساء من ضروريات الحياة تسقط كل حجة حتى حجة القومية ذاتها ؛ فالقومية لا يجوز أن تحرمنى من ضروريات الحياة . والوضع الذى ييسر الحياة على ملايين الفقراء ويرفع مستوى حياتهم هو الوضع المطلوب قبل كل شىء بالنسبة لهؤلاء الفقراء .

والقومية يجب أن تحاول التوفيق بينها وبين المصلحة العامة ؛ لا أن تتحقق على حساب الملايين من السكان ، ولحساب بعض الألوف منهم فى النهاية . وهؤلاء القلائل الذين يطالبوننى أن أحقق المصلحة القومية يجب أن يشتركوا معى فى مغارم هذه القومية وألا ينفردوا بمغانمها ، حتى إذا همت الحكومة بأى إجراء يحقق العدالة ، صاحوا باسم القومية ضد هذا الإجراء !

بعض الصناعات والمنتجات المحلية تدر أرباحا هائلة على العدد القليل من المساهمين فيها أو القائمين بها ، وهى تباع للمستهلكين بأسعار عالية تحقق هذه الأرباح الهائلة ، ولو بيعت هذه المنتجات بنصف السعر الذى تباع به لأدرت على المساهمين أرباحا معقولة . وهؤلاء المساهمون هم الذين يطالبون المستهلكين باسم القومية أن يستهلكوا منتجاتهم ويفضلوها على الواردات الأجنبية أو يطالبون الحكومة بحظر الاستيراد أو رفع الضرائب الجمركية بقصد الحماية . أفليس من القومية أن يقللوا هم من أرباحهم بعض الشىء بخفض الأثمان أو برفع أجور العمال المنتجين ؟ وهل تقف حدود القومية عند تمتيل المستهلك باهظ الأسعار لتحقيق أرباح عالية لبضع مئات أو عدة ألوف ؟

لقد ظلت صيحة الوطنية والقومية تموه علينا الحقائق فيجب أن ننتبه الآن لها . وتصرف الحكومة فى مسألة استيراد البرتقال مثل لهذا الانتباه ، فينبغى أن تكون لنا سياسة عامة تتوافر فيها هذه اليقظة ، وأن يتجه ثمنا كله إلى تيسير الحياة على الفقراء . إما بخفض الأسعار أو برفع الدخل ، فإذا تعارض هذا مع مصلحة رءوس الأموال القومية أو الأجنبية فيجب أن نجد فى أنفسنا الشجاعة الكافية لمقاومة الصياح باسم المصلحة القومية كما وجدناها ونحن نقرر إباحة استيراد البرتقال ؛

سيد قطب

مظاهر من الطبع المصرى

الإسراف فى طبـــــــقات العمال

الكسب المؤقت خطر شنيع

للأستاذ فايد العمروسى

أظن أن أجر " الترام " فى الدرجة الأولى شيء ليس بالعسير ، وأن فى مقدور الذين تعودوا أن يركبوا " الترام " أو غيره أن يدفعوا هـذا الأجر دون مضايقة لجيوبهم أو إرهاق لميزانيتهم ، ولقد كنت يوما من هؤلاء الذين لا ترهقهم هـذه الملاليم الزائدة فقصدت — كعادتى — إلى الدرجة الأولى فى الترام ، فإذا " بالصالون " ستة أشخاص ، وكلهم يلبس سترة العمل على اختلاف أنواعه ! ! ولقد حسبت أنها صدفة من الصدف التى تقع تحت العين فى مظاهر الحياة اليومية ، أو أنه نوع من التدلل ولو مرة فى الأسبوع أو الشهر لهذه الطوائف التى ما تعودت فى بلادنا إلا شظف العيش وقسوة الحياة ، ولكن هذه الصدفة تكررت وتكررت فى كل يوم ، وفى كل ترام ، وفى كل وسيلة من وسائل النقل من سيارة وعربة وقطار ! ! فأيقنت أن هذه الظاهرة التى حسبتها أول الأمر مصادفة وتدللا ما هى إلا عادة لهؤلاء الطوائف ولدتها ظروف الحرب بما فيها من عمل ومكسب دائم لا ينقطع ليلا ونهارا !

وليس من حق أن أبغا أو أتعجب لمثل هذه المظاهر ، فطوائف العمال قوم أنا أحبهم وأجلهم وأعطف عليهم وأتمنى لهم ولأسرهم كل خير ونهوض ، ولقـد فطنت الحكومات المتعاقبة إلى ضرورة تحسين أحوالهم فزادت فى أجورهم ونظمت أوقات عملهم وسنت القوانين الصارمة التى تحميهم من استبداد أصحاب الشركات وأرباب الأموال ، ولست بصدد تعداد ما صنعته الحكومة لهم إلا بقدر هذه الإشارة الخفيفة ولكنى بصدد تحليل نفسى لحالة هذه الطوائف فى مظاهرهم الحاضرة تلك المظاهر التى طفرت بهم من السير على الأقدام ، إلى ركوب الترام فى الدرجة الأولى ، ثم إلى ركوب السيارات والعربات ، ثم إلى ارتداء الملابس الأفرنكية ، وكل هذا فى إسراف وبذخ وبذل لا يتفق مع الحكمة والتصرف لأمثالهم . . !

سمعت حديثا من بعضهم — وكنت فى سيارة عامة — خرجت منه على أن ثلاثة منهم سيتناولون طعام العشاء فى مطعم فخم بالقاهرة أخشى أن أسميه فيكذبنى القراء ! ! وفهمت منه أن هؤلاء الثلاثة أنفسهم سيقضون سهرتهم بعد العشاء فى سينما " الكورسال " !

وسمعت حديثا آخر من جماعة آخرين أن كل واحد "فصل بدلة" ثمنها اثنا عشر جنيها واشترى حذاء ثمنه جنيهان وأشياء أخرى يختلف ثمن الواحد منها من جنيه إلى نصف الجنيه، هذا ما سمعته أذناى من قوم لا أعرفهم ، ومن كلام ليس فيه سمة الكذب ولا طابعه ، وإنما فيه روح الاطمئنان وعدم المغالاة ، وأما ما رأته عيناى ممن أعرفهم ومن لا أعرفهم فى مظاهر هذا الإسراف فكثيرون ، وكثيرون جدا ! !

وليس هناك تعليل لمظاهر هذا الإسراف والتبذير فى طبقة العمال إلا أمران :

أولها ظروف هذه الحرب واتساع نطاقها مما أوجد العمل الكثير الذى يتطلب أيادى كثيرة بأثمان باهظة وأجور مرتفعة ، ومن هنا وجد العامل النقود تنساب عليه انسيابا يفوق نسبة الغلاء وارتفاع الأسعار ! !

ثانيهما شعور هذه الطبقة بالرخاء بعد العسر ، والوجدان بعد الفقد ، فهم إذ يسرفون اليوم فى النفقات فإنما يعوضون ما ذاقوه من ضنك فى الماضى وحرمان من متع الحياة ، وهم بهذا التبذير ينتقمون — انتقاما غير مقصود — من الطبقات الاخرى الذين تتيسر لهم الحياة فى السلم والحرب ، والذين كانوا يشمخون بأنوفهم على غيرهم من الطبقات الفقيرة العاملة التى تكد وتضنى وتتعب تعبا شريفا مجديا .

ولن يستطيع مخلوق أن يعترض أو ينكر على هذه الطبقة أن تتمتع وتعيش كما يعيش ويتمتع كل مخلوق فى الدنيا ، فهم أناس تقوم على جهودهم أسس العمران فى الحياة ، وهم القوى النابضة التى بها تنهض الشعوب وتسير فى مضمار الحياة فى تطورها وتقدمها ، وإنما الذى ننكره على العامل أن ينسى الأمس ، ويغفل عن الغد ، ولا يعرف إلا يومه الذى هو فيه ، لو عرف العامل أن حياته قبل الحرب كانت قاسية عنيفة ، وأن ميادين العمل كانت كرة ضيقة ، وأن الأجور كانت زهيدة شحيحة ، وأن الأيادى العاملة كانت ضئيلة محدودة ، لو عرف كل ذلك لتريث قليلا فى الاندفاع فى النفقات .

لقد كان العامل قبل الحرب صرخة محزنة وأنينا أليما فى كيان الأمة ، كان يتقاضى الأجر الزهيد وهو معول فيعيش ، وكان يتعطل عن عمله أياما وأسابيع فيعيش ، وكان يفرحه زيادة القرش والقرشين فى اليوم فيعد هذا نعمة هبطت عليه من السماء فيتلقاها بالأكف الضارعة إلى الله بالحمد والشكران ، كان يقنع باللباس الممزق ، وبالعيش القفار ، وبمسيره ساعة وساعتين إلى محل عمله دون أن يتعب أو يسأم ، أو دون أن يبطر ويتدلل ، وهذا ما جعله فى نظر الناس والهيئات والحكومات رجلا جديرا بالعطف والرعاية ، وخليقا بالاصلاح والاعتراف بحقوقه المنقوصة حتى نالها أو نال معظمها حين فطنت الحكومة إلى

غبنه واعتنت بحل مشاكله فى هذه الظروف . عامل كهذا لو أحس ما كان فيه ثم قارن بين ماضيه وحاضره خليق به أن يقتصد فى النعمة فلا يبذرها وأن يتمتع برزقه الجديد بحكمة وتفكير ! ! .

* * *

والعامل الآن يتحدر فى تيار الإسراف وهو مخدر الأعصاب بجيوبه المملوءة ، هو منهمر بكبرة الأوراق المرقمة التى يحشو بها جيوبه كل يوم ، إنه يفكر فى يومه فقط ، لقد مات الأمس من عمره فليمت فى فكره أيضا ، أنه لا يفكر فى الغد ! الغد المعلوم فى حساب علماء الاجتماع والاقتصاد وإن كان مجهولا فى نظر الفلاسفة والشعراء ! .

لقد قرأنا ما كتبه المؤرخون فى وصف العالم بعد الحرب الكبرى الماضية من حيث البطالة والعمل ، فإذا مشاكل العمال هى العقد التى لا تحل ، والتى تعيى العلماء والعباقرة وتجهدهم وتستعصى عليهم ، لقد تعطلت ملايين الأيدى العاملة ، وتحولت المصانع الحربية أو بعضها إلى ما كانت عليه قبل فاصبحت لا تفى حاجاتها بمطالب الجيوش المتعطلة ، ومن هنا نشأ الجوع والمرض والفقر والتشرد والإجرام ، بل لقد نشأ الاختلاط وتفشت الأوباء الخلقية بسبب الهجرة وأمثالها مما لا زلنا نعانى متاعبه حتى اليوم ، وبالقياس على نتائج ما بعد الحرب الماضية نستطيع أن نوقن بأن ما بعد الحرب الحاضرة سيكون أقسى وأشد ، بل سيكون البلاء الأليم الذى يزعزع البشرية ويعتم الحياة ويزلزل كيان العيش ، وإن المفكرين من العباقرة ليسهرون ليلهم ويقومون نهارهم فى الوصول إلى علاج الأزمات والمشاكل التى ستنشأ حتما بعد الحرب ، حتى انهم سموها " مشاكل السلم " .

ومن أهم هذه المشاكل وأعنفها مشاكل العمل والعمال ، ففى اللحظة التى توقع فيها معاهدة السلم العالمى ستقف فورا ملايين الآلات فى آلاف المصانع ، فكم من الملايين العاملة ستقف حتما بوقوف هذه الآلات ؟ ؟ إن مطالب الحرب غير مطالب السلم ، وإن نفقاتها وتضحياتها غير نفقات السلم وتضحياته ، وإن الذين يشتغلون اليوم ليلهم ونهارهم فيتقاضون أجورا عالية مضاعفة سوف لا يجدون فى المستقبل — إلا القليل منهم — عملا يشغلهم لا ليلا ولا نهارا ، وسوف لا يجدون أجورا بأزهد ما تكون الأجور .

فعلى طبقة العمال أن يقتصدوا من اليوم للغد ، وعليهم أن يفكروا فى شبح المستقبل الأسود على فى بشاعته ما يخيفهم منه ، وعليهم إذا خافوا أن يمسكوا أيديهم عن البسط المجنون ، وأن يتسامحوا بما فى أيديهم الآن من الثروة ليواجهوا بها هذا الشبح المخيف سنتين أو ثلاثا على الأقل حتى يبدأ العالم ويتمكن من السير فى نظام جديد .

إنى لأحزن وأتمامل حين أرى العامل يبعثر كل ما فى يده فى يومه حالما أن الغد القريب سيملؤها من جديد ، إنى لأتخيل هذا العامل المشغوف بالتبذير والاسراف فى هذه الظروف شخصا عاطلا كئيبا فى المستقبل فأحزن وأغتم ، لأنه لم ينتفع من اليوم الأبيض لليوم الأسود كما يقولون ، ولأنه بهره الحاضر ببريقه فعمى عن المستقبل وظلامه ! !

و إسراف العامل فى هـذه الظروف تصرف مطابق للطبيعة المصرية كل المطابقة ، فالطبع المصرى مسرف فى كل شىء ، مسرف فى اليقين والشك ، مسرف فى الفرح والحزن ، مسرف فى التشاؤم والتفاؤل ، مسرف فى الوصل والهجر ، مسرف فى كل المتناقضات ، وتبذله من هذا الى ذاك سريع كل السرعة ، ذلك لأنه يتقبل كل جديد بعواطفه وميوله المتعطشـة اليه دون إعمال الفكر والتفهم ، وتلك ناحية نقص لا شك فى. طبائعنا قد تمحوها الأزمات والتجارب حين يمر بنا الجيل بعد الجيل ، وحين نستفيد من الثقافات المختلفة والتجارب العملية ما يربى فينا روح التروى والتبصر والادراك والنظر الى العواقب .

* * *

وثمت ناحية أخرى خلقتهـا ظروف الحرب أو الكسب المؤقت ، وهى ناحية مؤذية إن لم نتداركها بالعلاج ، ذاك أن كثيرا من الأيدى العاملة الآن لم يكونوا عمالا ولا أرباب مهن قبل الحرب ، ولكن الكسب المؤقت أغراهم فانتهزوه وتركوا أعمالهم الأصيلة والتحقوا بميادين الأعمال فى هذه الأيام ، وهؤلاء يعدون بالآلاف أعرف منهم الموظف الذى استقال والتلميذ الذى ترك دراسته والتاجر الصغير الذى أغلق حانوته والزارع الأجير الذى ترك مزرعته والنجار والحداد والحائك وأمثالهم ، هؤلاء تركوا مهنهم الضيقة ليشـتغلوا عمالا فى الدوائر الحربية طمعا فى الكسب المؤقت ، وهذا حسـن لا غبار عليه لو أنهم اسـتفادوا فى هذه الظروف واقتصدوا بعضا من هذه الفائدة للمستقبل الذى ينتظرهم ، ولو أنهم صنعوا ذلك فاسـتغلوا الفرص وانتفعوا بها وتسلحوا بخبرها ليواجهوا بها ظروف ما بعد الحرب ما كان فى عملهم هذا إلا كل خير ونفع ، وما كان فى تفكيرهم هذا إلا كل إصابة وتوفيق .

غير أن المحزن كما قلت إنهم يسرفون ويمعنون فى الإسراف ، وأن ما يكسـبونه اليوم يذهب بذهاب النهار ، وأنهم يستقبلون كل يوم جديد كأنهم لم يكسبوا بالأمس شيئا ، وهم قوم يؤمنون بالتوا كل ويعتقدون أن لكل يوم رزقا جديدا ينزل عليهم من السماء فى موائد كالتى نزلت على الأنبياء ، وهم متشبعون بالمثل القائل "اصرف ما فى الجيب ... الخ" والرزق على الله ! ! ولا تفكر فى "بكره" ولست أدرى من أين تشبعوا بهذه الفلسفة وهم غير فلاسفة ؟ ولعلهم فهموا خطأ قول المعرى إن كان قد سمعوا به :

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التى أنت فيهـا

ومع ايماننا بأن لكل يوم رزقا جديدا فإنى أحب أن يعلم المتوالكون والمسرفون ، أن الرزق دائما نتيجة للعمل والجهود، وان الشريعة الغراء لتغضب كل الغضب على المتواكلين الذين يشوهون مبادئها العالية بأفهامهم السقيمة ، الرزق لايهبط على الناس كالجراد يهبط على الحقول ، ولكنه يهبط على الأيدى العاملة ، وينزل على الأفكار التى تميل الى السعى والطلب وتحترم النعمة فلا تبعثرها ذات اليمين وذات الشمال ؛ وفى الحديث القدسى " ياعبدى حرك يدك أنزل عليك الرزق " .

وفى الحديث النبوى " اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا " وفى القرآن الكريم : " ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا " وأحب أن يعرف المسرفون من طبقات العمال فى هذه الأيام أنه ليس بمستحيل أن يموت الانسان جوعا اذا هو لم يعمل ؛ واذا هو لم يقتصد من رخائه لضيقه ، ولقد حدثنا التاريخ عن ضحايا الجوع بعد الحرب الكبرى وعما فعله ضيق العمل بالأيدى العاملة .

وأحب أن يفهموا أن " الرزق على الله " هذه جملة لها معنى أسمى وأبلغ مما يفهمون ، وأن الله جل شأنه لا يصطفى من عباده المتواكل الجاهل الذى لا يفكر فى مستقبله ومستقبل أولاده ، والذى لا يتبصر فى الإنفاق برويه وفهم وقناعه !

يعتقد المسرفون من طبقات العمال وأمثالهم ان هذه الأيام فرص للتمتع والتنعم ، وأنها فرص للظهور فى عالم المظاهر ، فرص لاقتناص ما كان ممنوعا عنهم فى حياتهم الأولى ؛ وكأنهم قد آمنوا بمن قال :

تمتع بها ما ساعفتك جدودها فما كل حين صفوها لك شامل

والواقع أن هذه الأيام فرص لهم ولأمثالهم ، ولكنها ليست فرصا للتبذير والبعثرة بحساب وبغير حساب ، وإنما هى فرص للانتفاع والاقتصاد للأيام المقبلة كما قلت ؛ وهى فرص حقا ينتفع بها العمال فى الشعوب التى تعرف كيف تتخين الفرص الذهبية ، وكيف تستفيد من تقلب الأحوال والأوضاع الدولية فى كل العصور .

وأظن أنه ليس من الخير أن تترك هذه الطوائف وأمثالها فى انحدار الاسراف والتبذير وأن من الحكمة أن يقوم المفكرون بتبصيرهم الى الطريق القويم وأن يرسموا لهم أوضح المناهج التى يسلكونها فى هذه الأيام لتقيهم من شر المستقبل القريب .

وأرى من الوسائل التى قد تبصر هذه الطوائف بالحقائق وتحد من اسرافهم ما يأتى :

أولا — الكتاب الذين يعالجون المشاكل الاجتماعية فى هذه المجلة عليهم معظم المسئولية فى توجيه هذه الفئات وتنوير أذهانهم ولفتهم الى ما يجب أن يتبعوه فى هذه الظروف و إن

جنون الاسراف فيهم لمن أخطر المشاكل الاجتماعية ، التى يجب أن تعالج من الآن لأنها لو تركت لاستفحلت يوما بعد يوم ، ولتفاقم ضررها الذى قد يستعصى على المفكرين فيما بعد ، وان الصحف الأخرى بما فيها من هيئات تحرير واشراف على الشؤون العامة لمسئولة أيضا عن معالجة هذه الحالة التى برزت بروزا شنيعا فى هذه الأيام .

ثانيا — الاذاعة عامل مهم أوهو أهم الوسائل فى إيصال الإرشاد الى هذه الطوائف ؛ والمذيعون الذين يلقون علينا كل يوم محاضرات عن العالم فى اسبوع مثلا هم أولى الناس بأن يلتفتوا الى هـــذه الناحية وأن يتناولوها فى موضوعاتهم ، وأظن أن قسم الاذاعة بوزارة الشؤون الاجتماعية ليتحمل النصيب الأكبر من هذه المسئولية ، فعليه أن ينظم اذاعتين كل أسبوع على الأقل توجه الى طبقات العمال ومن فى مستواهم ممن يكسبون بلا حساب ويسرفون بلا حساب على أن تكون الاذاعة فى مستواهم الفكرى ؛ وأن تحتوى على أرقام واحصاء ومقارنة ومثل من الحرب الماضية لتكون عبرة لنا فى هذه الحرب .

ويجب أن يحتم على المصانع أن يكون فى كل منها جهاز استقبال لهذه الاذاعة ، وأن تكون الاذاعة فى وقت العمل نهارا أو ليلا حتى يسمع كل عامل ما يلقى عليه من الارشادات ، وفى الواقع إن العامل فى هذه الأيام لفى حاجة الى قيادة تنظم حياته المادية حتى نأمن عليه الغدر فى المستقبل الذى ينتظره .

* * *

ثالثا — خطباء المساجد والوعاظ مسئولون أيضا فى هـذا الصدد ، وما أجمل لوقطن خطيب الجمع إلى هـذه الناحية فيعالجها علاجا دينيا واضحا ، ثم يوجه خطبته إلى المصلين فى إرشاد ونصح ، وإن تأثير خطب المساجد فى نفوس السامعين ، إذا كان الارشاد عمليا لابلغ أثرا وأعمق نفعا إذا كان له مساس بحياتهم وفيه حرص على مصالحهم الدنيوية ، وواجب الوعاظ الدينين الذين يعظون الناس فى المساجد والمحافل العامة جزء من هذه الوسائل التى يجب أن نعنى بها ونبرزها نشطة حارة فى هذه الظروف الدقيقة الخطره .

وإذا حسن للحاضرين أن ينشئوا بحوثهم فى الأدب والفن والتربية وأمثال هذه الشئون فإنما يجمل بهم ويحسن كل الإحسان أن ينشئوها أيضا فى هذه المشكلة وأن ينظم فى كل أسبوع محاضرتان على الأقل فى المنتديات ، وأن يدعى اليها العمال للاستماع والانتفاع .

رابعا — عرض الأفلام فى دور الخيالة بحيث تكون خاصة بحياة العمال فى الماضى والحاضر ، وبحيث تحتوى صورا ناطقة لحياتهم بعد الحرب الماضية ، وأن يكون مغزاها واضحا فى أذهان المتفرجين ، وأن تشمل قصصا واقعا أو موضوعا لنتيجة الإسراف والتبذير

حتى يكون ذلك العرض شبحا مخيفا فى نفوس المسرفين ، وعل هذا التحذير مانع من اليد أن تبعثر ، وموقظ للعقول التى تترنح بنشوة الكسب غير المحدود غافلة عن مستقبلها المنتظر ناسية ماضيها القريب .

خامسا — نظام الادخار فى الشركات ، وذلك بقوانين تسنها الحكومة وتفرضها على أصحاب العمل والعمال باقتطاع نسبة خاصة من الأجور تحفظ لكل عامل باسمه وأن يكون هناك من القوانين مايضمن انتفاع العامل بها بعد الادخار ،وما يطمئنه على ردها اليه كاملة غير منقوصة ، وما أظن إلا أن العمال سيغتبطون بنظام كهذا ما دامت فيه مصلحتهم ، وفيه شىء اسمه " نقود " ستحفظ لهم وترد اليهم ولو طال عليها الزمان .

ويتساوى فى هذا وذاك من الوسائل نظام التأمين الجبرى أسوة بالعمال فى البلاد الأوربية ونظام فرض ضرائب تسمى ضرائب الادخار تكون بنسبة خاصة فى الأجور العالية ، وهذه تتولاها الحكومة كنظام مالى يشبه نظام " المعاشات " للموظفين ، وما أظن أن عاملا يمانع فى عمل كهذا يحفظ له ولأسرته حياته ، ويقيه شر تطورات الزمن ، ويطمئنه على مستقبله حين تتعطل يداه أو تضمحل قواه .

* * *

ونقابات العمال تستطيع بمساعداتها إبراز هذه الوسائل والنهوض بها لمصلحة العمال وتستطيع فى الوقت نفسه بما لها من نفوذ أن تهيئ العمال لقبول هذه المقترحات ، والنقابات التى كانت فى الماضى تطالب برفع الأجور للعمال عليها الآن وقد ارتفعت الأجور بما قررته الحكومة وبما أحدثته ظروف الحرب ، عليها الا تغفل عن حياة العامل المادية المبعثرة الآن دون حساب ، وهى فى سعيها أن تقترح لهم من النظم ما تشاء وأن تطلب موافقة الحكومة عليها بحيث تكون هذه النظم فى دائرة معقولة تضمن لهم ادخار شىء مما يكسبونه الآن وتقف من تيار هذا التبذير الجارف والاسراف الممقوت .

هذه كلمة لابد منها خلقها الإسراف فى الطبع المصرى الذى نشاهده الآن واضحا جليا فى حياة العمال المادية ، بل فى حياة الفقراء عامة ممن يكسبون الكسب المؤقت فى هذه الظروف ، ولعل مافيها من وسائل العلاج يلفت نظر المسئولين إلى التفكير فى هذه المشكلة ، ولعلهم أن يعملوا بها إن وجدوها صالحة ، وإلا فلا أقل من أن تكون نواة يقوم عليها الإرشاد والإصلاح .

فايد العمروسى

نبوغ شبابنا
بين عاملى الكفاح والتشجيع
للأستاذ صلاح الدين الشريف

أحسبك تذهب معى ياصديق، الى أن شبابنا المصرى موهوب بطبعه، وأن الكثيرين من أفراده أظهروا نبوغهم الكامل عندما زاولوا أعمالا كبيرة كنا نحسبها وقفا على غيرنا من قبل ... ولكنهم أتقنوها إتقان من طال عليهم بها العهد، فشقوا طريقهم الى النجاح، بعد أن ملأت قلوبهم الثقة، وآمنوا بمستقبلهم، وجعلوا النجاح لهم ديدنا وعادة .

ولكنى أرى الى جانب هذا الفريق الناجح، فريقا آخر فاشلا، يلتوى به القصد، من رغبة الى رغبة، ويتذبذب بين عمل وعمل . وما أسرع ما تخونه الثقة بالنفس، حتى لتجمد ملكاته وتنطفئ جذوة حماسه، ولما يبدأ المرحلة الأولى فى حياته، فهل تراك محدثى عن سر هذا التفاوت بين الفريقين، وتكشف لى عن سبب هذا الازدواج فى وضع الصورة، ومادتها على ما أحسب واحدة ألوانها، لا نكران فى انسجامها وتوازنها ؟ .

الواقع، أنى أذهب معك، الى أن شبابنا لا يعوزه النبوغ، ولا تنقص ملكاته الكفاية، وأنه من أجل هذا، مستطيع أن يشق لنفسه، طريقا سويا الى النجاح ... ولكن ألا تذهب معى الى أن النجاح، حقيقة مركبة، لها عناصرها ... ، أو قل، أنه هدف موموق، قد يقرب ويدنو، وقد يبعد ويشط، على حسب السبل الموصلة اليه، ومدى حظها من السهولة أو الصعوبة ؟ ...

اجل، ان السبل موجودة . واختيار إحداها، أو التفضيل بينها ... قد لا يبدو صعبا البتة . ولا سيما، إذا درس الشاب، حقيقة رغبته، وقاس حدود طاقته ... ولكن مجرد تفضيل السبيل الذى يقع عليه اختياره، لا يكفيه ليواصل خلاله السير، ويعد على طوله الخطو ... إذ ثمة أيضا ذلك الاكسير السحرى، الذى ينسيه متاعبه، ويذيقه حلاوة كل خطوة يخطوها، مقتربا من هدفه . وأعنى به " روح التشجيع "، الذى من حقه أن يلقاه فى بيئته . فهو محك الكفاية، ومقياس التجربة . وهو الذى يسوس أعصابه ويكيفها وفق ما يريده صاحبها ... وهو بعد، الذى يسهل عليه مشاق العمل، ويحقق له نجاحه، ويدنيه بسهولة من مأموله ... ولكننا نتلفت، لنتحسس اثارة من هذه الروح الطيبة، روح التشجيع، فلا نفوز بطائل .

ولكم يحز فى نفوسنا، أن نرى جمهرة الشباب عندنا، محرومة منها . فشبابنا، منذ أن ينشأ فى بيئة البيت، الى أن يشب فى محيط المدرسة، الى أن تدب به الرجل، بين وعور الحياة

فى المجتمع ، لا يلق أمامه التشجيع ولا يذوق له طعما ! ... فهلا اعترفنا بهذا الوضع الشائه ، وعكفنا على فلسفة التشجيع هذه ندرسها ، لنحققها ، ونذيق أطفالنا وشبابنا حلاوتها وعذوبتها ! .

نعم . لا أستطيع أن أنكر هذا الذى انتهيت اليه . فنحن شباب هذا الجيل ، قد ذقناه واكتوينا به . ولكن ما لا أستطيع أن أقنع به ، هو أنك عزوت الى هذا العامل وحده ، كل السبب فيما يلقاه بعض شبابنا ، ولا سيما فى محيط العمل الحر من فشل وخيبة .

انى يا صديق ، إذا فهمت أن عامل التشجيع ، عنصر لا بد منه ، فى نجاح شباب الأعمال الحكومية مثلا ، وهى التى يتعدد فيها الرؤساء ، ويكثر المشرفون على العمل ... أو قل ما يجرى مجرى هذه الأعمال فى محيط العمل الحر ، كالشركات الكبرى ، والبيوت المالية المنظمة ، فانى مع هذا لا أرى وجها ، لفهم هذا الأمر ، فى غير هذا المجال من مجالات العمل الفسيحة الأخرى ، وهى التى يعتمد المرء فيها على نفسه ، ويكون بفكره وجهده ورأسماله ، برنامج العمل ، ويحدد أهدافه ثم يمضى فى الحياة وحده ، لتحقيقه ، واجتناء ثمراته .

فيقيني إذن .. أن مثل هذا الشباب ، يعوزه أن يفهم معنى الكفاح ، وأن يشرب به روحه ، لأنه متى فهمه وأدركه ، شجع نفسه بنفسه ، وامتلأ ثقة ، بأنه لا بد فائز بأغراضه كلها أو بكثير منها على الأقل .

هذا الكفاح ، يقوم فى الواقع على مبدأين :

أولها : أنه يجب أن نعتاد النجاح عادة ، فنبدأ مثلا بالأعمال السهلة ، المتواضعة ، ولا نأنف منها أو نستنكرها . . فلقد ولى زمان هذه النظرة البلهاء ، وانطوت صفحتها . . ثم نتدرج منها إلى الأعمال الأكثر صعوبة ، متى نجحنا فى الأولى . وهكذا ، تظل الثقة فى نفوسنا تشجعنا وتؤنسنا بوحيها .

وثانى المبدأين : هو ألا نعمل عملا نكرهه . لأننا عندئذ ، نقيم فى أنفسنا صراعا بين الهوى والواجب . . هذا الصراع يستنفد بالطبع مقدارا كبيرا من قوة أعصابنا ، حتى أن جهد ساعة منه يقوم مقام الجهد الكامل . فتكون النتيجة أن نعيا بالعمل البسيط ، ونصبح مهمومين مجهودين ، حتى ولو كنا فى فراغنا لا نجد ولا نعمل .

ولكن من ذا الذى ينكر أن الكفاح لا بد منه ! ؟ . إنما ذهبت يا صديق فيما قلته لك إلى أن هناك خطوة رئيسية قبل مرحلة الكفاح هذه . أو أن هناك دورا تمهيديا له . وإذا شئت أن أصدقك الرأى قلت أن مبدئى هذا ، ليس خطوة أولى ، أو دورا تمهيديا فحسب ، بل إنه بمثابة العنوان الذى يوجه المرء فى كفاحه .

كيف بالله ، تخلق الرغبة أو الهوى ، وأنت محروم من الشعور بلذة ما تعمل ، معصوب العين عن المصير الذى تهدف بعملك نحوه .

إن مثل هذا الشاب الذى حرم الرغبة ، وسلب الغاية ، لكالآلة تساق سوقا دون أن تدرك لعملها وردا ولا صدرا ! . وإلا فكيف لعمرى تحفز الرغبة بغير التشجيع !. أو كيف تعشق الغاية بغير هذا " الاكسير " ! ؟ .

لا زلت أؤكد أن عنصر الكفاح هو رأس مال النجاح فى هذه الحياة التى تتطاحن فيها الملكات ، وتتعارك بين أمواجها الكفايات . والكفاح بطبعه يتقاضى الشاب أن يؤمن بنفسه أولا حتى ولو عدم تشجيع الغير وأضحى منكور الحق فى نصيبه العادل من هذه الحياة .

يجب على الشاب ، فى أى ميدان من ميادين العمل نزل إليه ، أن يتعلم جادا استقلال النفس حتى ولو لم يلقنه فى بيته ولا معهده ، وأن يعتاد الاعتماد على ذاته وحدها ، حتى ولو وجد الامر فى بادئه شاقا وعسيرا .

فاذا قدر له أن يختار عملا ما ، ولو كان بعيدا عما درسه فى المدرسة أو الجامعة ، فأول خطوة يخطوها ، هى أن يقف تماما على مدى رغبته ومقدار ميله إليه ، ثم يدون غايته ويعين السبل المعقولة التى توصل إليها ، ويدأب على شرحها لنفسه فى ثقة العارف المطمئن ، فان هذا أقمن أن يعينه على توضيح أفكاره وحث خطواته إلى ما يرجو ويطلب .

وبالطبع ، لا أنكر أن التشجيع حيثما وجد يعد حافزا من حوافز النجاح فى كثير من الأعمال حتى تقارب حد الكمال ، فيكسب العمل ، ويكسب الشباب ، ويكسب المجتمع بمكسب الاثنين .

إذن اتفقنا ، وأحسب ألا وجه للتناقض فيما ذهب كلانا اليه ، فالتشجيع والكفاح عنصران أساسيان لنجاح الشباب فى الحياة . وآخر ما يمكن أن أقوله فى النجاح " هو أنك إذا رغبت فى شىء تمام الرغبة ، وشجعت عليه التشجيع كله ، وكافحت من أجله كفاح الرجولة المؤمنة بنفسها ، لم يعد هذا الشىء ، وإن بدا لأول وهلة معجزا ، مستحيلا من المستحيلات ، فانك لا بد بهذا كله محقق رغبتك مؤكد كفايتك " .

هذه نصيحة طيبة ، ونظرة الى أمور الحياة صائبة . وإذا كان لى أن أضيف شيئا إلى ما قلت ، فهو نصيحة أخرى ، تجدى هذا الشباب المنهوك القوى ، الممتقع الوجوه ، إذا حرص على وضعها نصب عينيه . هذه النصيحة هى أن لكل شاب طاقة ، لا يجمل به أن يعدوها ، وإلا أجهد جسمه واتلف أعصابه وأثبت به الطريق دون غايته .

نعم إن فى أعصابنا قوى مذخرة . ولكن حذار حذار من المساس بها ، إلا فى الأزمات الشديدة التى تتقاضانا جهدا استثنائيا فلنمسك على تنبيهها وارهاقها ، حتى نجد منها بعد ذلك ذخيرة تعيننا على العمل اليومى وعلى الأمل المتجدد ، وعلى توسيع نطاق الأعمال عند التوفيق والنجاح . ويدخل فى هذا أيضا حفظ الجسم من كل ما يفت فيه من معاول الرذائل المختلفة التى كثيرا ما يرنو اليها الشباب ، متفتح الجوارح ، ثم يعلم بعد أن تضنيه نهكة الجسم ، أنه فرط فى شىء ان يعود وبدد كنزا لا يرجع .

صلاح الدين الشريف

ملاحظات عابرة :

١ — الحاجة والأمانة ... ...
٢ — التبرعات الشعبية ... ...
٣ — مصرى كريم ... ...
٤ — وسائل الإرشاد فى الريف... ... ...
٥ — الدقة فى تصميم المشروعات ... ...

(١)

كنت أقرأ فى كتاب "مذكراتى فى نصف قرن" للمرحوم أحمد شفيق باشا فاستوقف نظرى حديثه عن أمانة السويسريين، وقد استشهد بعدة حوادث منها أنه ترك مظلته سهوا ليركب القطار مسرعا ، فلما كشف ضياعها أعلن فى إحدى الصحف عنها فردت إليه وكان أحدهم قد وجدها فسلمها للسلطات، ومنها أن صبيا فى محل نجار عثر فى صوان تركه أصحابه للإصلاح قطعة من الماس فردها إلى أصحاب الصوان ... إلى آخر الحكايات التى تدل على أن الأمانة خلق شائع هناك .

ورجعت إلى وصفه للحالة الاجتماعية والاقتصادية فى سويسرا فعرفت أن "الكناس" هناك يتقاضى أجرا يقرب من العشرين جنيها فى الشهر ، وهو أصغر دخل فى هذه البلاد الصغيرة السعيدة .

ولم يعز على أن أرجع بتلك الأمانة إلى أصولها . وهى التربية الصالحة والثقافة العقلية والتهذيب النفسى والرقى الاجتماعى ... ومن وراء هذه العوامل جميعا ، عامل أهم منها جميعا ، ذلك هو الغنى ...

فالغنى هو الذى يعصم نفوس السويسريين من التدنى إلى السرقة أو التكفف على اللق . والشبع هو الذى يمدهم بهذا الخلق الفاضل ، والمستوى المادى الرفيع الذى يعيشون فيه ، هو الذى يمكنهم من السمو النفسى والتهذيب الخلقى والعقلى .

ولقد رجعت بذاكرتى إلى ما يتهم به بعض المصريين المساكين من قلة الأمانة ، فتوالت على خيالى تلك الصور اليائسة المحتاجة ، وهى التى لا ترعى الأمانة ، ولا تتورع فى إخفائها ، فوجدت أن الحاجة هى التى تدفع بهؤلاء إلى هذا الخلق المرذول ، وأن الأمانة تقوم على الشبع أول ما تقوم .

ولو أن هذه الجماهير فى مصر محرومة من التهذيب والتعليم ، فإنها مظلومة فى اتهامها بقلة الأمانة ، فحوادث رد الأمانات الضائعة فى مصر ليست قليلة ، وحوادث العمال الصغار ، والسعاة والفراشون والخدم الذين يعثرون بأثمن الأشياء فيردونها ليست بالحوادث النادرة ولا القليلة .

وإنى لأعتقد أن المصرى هو أشد أهل الأرض استعدادا للفضائل الاجتماعية ، وأنه مع الظروف التى تحيط به ، لا تزال هذه الفضائل عميقة فى نفسه ، وأن الحاجة هى وحدها التى تخرجه عن فضائله وتعلمه جميع الرذائل التى نشكو منها على الإطلاق .

وفزوا لهذا الشعب ما يحتاج إليه ثم انظروا بعد ذلك فى أخلاقه ، وسترونه أفضل الشعوب وأقلها جرائم ومخالفات ... إنه شعب عريق ، ومظم الجرائم الفاشية فيه مصدرها الجوع ، والبقية من هذه الجرائم مرجعها إلى العناصر الدخيلة على العنصر المصرى الصميم ، من هذه الشعوب التى استعمرت مصر على ممر القرون !

(٥٢)

" أنشأ اللورد نفيلد شركة خيرية رأس مالها عشرة ملايين جنيه للتوسع فى الأبحاث الطبية ، وترقية المصالح الطبية والصحية ، والبحث التجارى والصناعى ، والعناية بالأشخاص الطاعنين فى السن وراحتهم " .

هذا الخبر الصغير فى حجمه ، الكبير فى معناه ، هو كل الفارق بيننا وبين الشعوب المتحضرة ، بين أغنيائنا وأغنياء تلك الشعوب ، بين نظرتهم هناك للواجب الذى يفرضه عليهم ثراؤهم ، ونظرتهم هنا للتاع الذى يتيحه لهم ثراؤهم . وهذا الفارق يلخص جميع الفوارق بيننا وبينهم .

عشرة ملايين من الجنيهات ترصد هناك لمثل هذه الأغراض فى مرة من المرات . وملىم واحد لا يرصد لمثل هذه الأعمال ، ومع ذلك يشكون هناك من " التناهى فى الغنى والتناهى فى الفقر " كما يقول مستر إيدن ، ويعدون العدة لتعديل هذه الأحوال حتى لا يوجد عندهم " صنف الأغنياء المتعطلين ، حسب تعبير مستر تشرشل .

والمسألة ليست مسألة غنى وفقر ، إنما هى مسألة شعور اجتماعى بالواجب على القادرين نحو العاجزين ، مسألة ضريبة اختيارية يفرضها القادرون على أنفسهم لأنهم لا يستطيعون أن يصموا آذانهم عن سماع نداء الواجب ، ولا أن يعموا أعينهم عن النظر إلى حاجات شعبهم .

وأغنياء أوربا وأمريكا يضربون الأمثال فى كل يوم على تبرعات ضخمة من هذا القبيل ، ومنهم "كارنجى" الذى تبرع بثمانية وتسعين مليونا من مائة مليون من الجنيهات ، ثم استثمر هذين المليونين حتى وصلا إلى خمسة ملايين فتبرع بها كذلك بعد وفاته لأعمال البر .

وما من شك فى أن أغنياءنا جميعا سينظرون إلى مثل هذا الرجل نظرة العقلاء إلى المجنون الذى يدفعه جنونه الى التبرع بهذه الملايين ، ذلك أنهم ينظرون الى الدنيا من زاوية واحدة هى زاوية المصلحة الشخصية الصغيرة .

وليس أدل على تخاذلنا فى هذا المضمار من أن مشروع أسبوع البر حينما وصل رقم التبرعات به إلى ثمانية وتسعين ألفا من الجنيهات هللنا وكبرنا ، وأن مشروع تحسين الصحة القروية حينما ظفر بسبعة عشر ألفا من الجنيهات عددناه ناجحا ، وأن يوم المستشفيات وصل إلى نحو أربعين ألف جنيه فحمدنا الله .

وهذه الألوف التى اجتمعت لهذه المشروعات جميعا كان يمكن أن يتبرع بها مصرى واحد فلا تضير ثروته ولا تؤثر فى ميزانيته ، فلدينا عدد من أصحاب الملايين وعدد من أصحاب مئات الألوف . ولكنهم يعيشون لأنفسهم فلا يشعرون بالواجب الاجتماعى المفروض عليهم .

ولدينا اليوم مشروع من مشروعات الموسم ، مشروع مكافحة التشرد ، فى حاجة ماسة إلى التبرعات الشعبية السخية ، والأموال مكدسة فى خزائن أثرياء الحرب ، فلعلنا نرى الأريحية الاجتماعية والإنسانية تدفع بهم إلى التبرع بشىء يرفع رءوسنا أمام الشعوب المتحضرة التى تعجب مستر كارنجى واللورد نفيلد وأمثالهما من المحسنين النبلاء .

(٣)

وقبل أن ننسى يجب أن نذكر مصريا كريما فى القرن العشرين ذلك هو "سيد جلال" . لقد تبرع هذا الرجل فى كل مناسبة من المناسبات بمبلغ يعد كبيرا جدا بالقياس إلى ثروته ، تبرع لمكافحة الحفاء ، وليوم المستشفيات ، ولمطاعم الشعب ... وفى مرة كتب أحد أصحاب الملايين المصريين مقالا حارا يدعو فيه إلى تيسير الحياة على الفقراء ! فما كان من "سيد جلال" إلا أن ترجم هذا المقال إلى لغة " الشيكات " فتبرع بخمسمائة جنيه ، ولم يتبرع كاتب المقال إلا بالورق والمداد !

وأخيرا يسبق " سيد جلال " بمناسبة مشروع تحويل الدين المصرى إلى نموذج من الوطنية الكريمة لا يخطر لأحد أثريائنا على بال ، بل ربما عدوه جنونا لا يقل عن جنون "كارنجى" السابق الذكر .

لقد ارسل " سيد جلال " إلى وزير المالية شيكا بألف جنيه ، وقال : إن هذا المبلغ ثمن شراء عشرة من سندات الدين الجديد ، وذلك لإحراقها مساهمة منى فى تخفيف عبء الدين عن خزانة الدولة ، وإنى اعتقد أن المساهمة فى مشروع تحويل الدين العام لا تكون بشراء سندات القرض ، فإن ذلك عمل رابح يستحق صانعه التهنئة على توفيقه فى استغلال ماله على وجه حسن مضمون ، وإنما تكون المساهمة فى تخفيف عبء الدين بالاشتراك فى تسديده ، وكم تمنيت لو كنت قادرا على أن أساهم بمبلغ أكبر من هذا المبلغ المتواضع ، ولعلى بهذا المثل الصغير أفتح الباب أمام أغنيائنا وأثريائنا لكى يساهموا بعشرات الألوف ومئاتها ، فان الفرد لا يعد ثريا إذا كانت دولته مدينة " .

وكل تعليق على هـذا العمل يعد لغوا ، فإنه ليبدو أن هذا الرجل من طينة أخرى غير طينة الأثرياء المصريين ، فهو يحسن الظن بهم لأنه يقيسهم إلى نفسه ، وينتظر منهم أن يقلدوه بأداء بعض ما عليهم للأمة فيتبرعون كما تبرع بعشرات الألوف ومئاتها ، ثم يحسن الظن بهم فيعتقد أنهم يحسون إحساسه الوطنى العالى " بأن الفرد لا يعد ثريا إذا كانت دولته مدينة " !

أيها الرجل الكريم ، ليت لنا من مثلك عشرة فقط ، إذن لرفعنا رءوسنا أمام العالم المتحضر ونحن مطمئنون !

(٤)

يتصدى لإصلاح الريف المصرى فى بعض الأحيان جماعة ممن لا يعرفون شيئا عن الريف ولا يتصورون وسائل الحياة فيه .

وهم يجلسون على مكاتبهم المريحة فى القاهرة ثم " يتفننون " فى اقتراح وسائل الإصلاح ومن بين هذه الوسائل التى يختارونها وسيلة الارشاد الاجتماعى أو الصحى أو الزراعى .

فمنهم من يقترح توجيه هذه الإرشادات الغالية عن طريق الراديو ، فيذهب المحاضرون الاجتماعيون والصحيون والزراعيون إلى محطة الإذاعة ، ومن هناك يرسلون أصواتهم بالمحاضرات القيمة المنمقة بعد أن يتعبوا فى تحبيرها ويدربوا أنفسهم على إلقائها ، ثم يخرجون مستريحى الضمائر لأنهم أدوا الواجب المفروض عليهم للريف ، وأبلغوا نصائحهم وإرشاداتهم لسكان الريف !

وكل هذا جميل ، لولا شىء واحد بسيط ... وهو أن أهل الريف لم يسمعوا حرفا واحدا مما قيل لأنهم لا يملكون لسوء الحظ أجهزة استقبال !!!

ولكم ضحكت وأنا أقلب برامج الإذاعة فأرى فيها حديثا صحيا لمندوب وزارة الصحة عن النظافة فى الريف ، أو حديثا زراعيا لمندوب وزارة الزراعة عن أحسن الطرق لزراعة الذرة الغويجة ، أو حديثا اجتماعيا عن العادات الضارة فى الريف ، أو حديثا لفلان أو اعلان عن الشؤون الريفية ...

إن هؤلاء لا يسمعون أحدا إلا سكان المدن الذين هم ليسوا فى حاجة للحديث عن الريف والذين لا يعرفون شيئا عن هذا الريف المجهول ، أما الذين توجه إليهم الإذاعات فهم فى صمت مطبق لا تصل اليهم هذه الأصوات ، لأن الأثير لسوء الحظ لا ينقل الأصوات مسموعة إلا لأجهزة الاستقبال ، وأهل الريف لا يملكون من هـذه الأجهزة إلا آذانهم التى وهبها لهم الله !

ويبدو لبعض المرشدين من مختلف الهيئات أن ترسل بارشاداتها ونصائحها لا عن طريق المذياع ولكن عن طريق المنشورات المكتوبة . وهؤلاء أكثر واقعية من أولئك الخياليين ولكنهم ينسون أن أكثر من خمسة وتسعين فى المائة من الريفيين هم من الأميين الذين لا يقرءون ولا يفهمون ما يقرأ عليهم بلغة المرشدين .

أيها المصلحون الاجتماعيون الغرباء عن الريف ... إن وسائلكم الخيالية لا تجدى ، فان شئتم ارشاد أهل الريف فتعالوا إليهم وأقيموا بينهم ، وتعرفوا عيوبهم وأمراضهم ، وخاطبوه بلغتهم وطرائقهم ، وكونوا قدوة حية تسعى بينهم . وهذه هى الوسيلة الوحيدة لإرشاد أهل الريف ، إلى أن يفتح الله عليهم فتزول أميتهم ، ويقتنون أجهزة الإذاعة ، ويعرفون الحروف المكتوبة ، وحينئذ خاطبوهم كما تشاءون . أيها المرشدون الخياليون !

(٥)

كنت أراجع بعض الأبواب فى مشروع الضمان الاجتماعى المقترح فى تقرير السير وليم بيفردج . فلفتت نظرى إحدى فقراته التى يتحدث فيها عن تخصيص مرتبات للأطفال فى يوم مولدهم ، وكان قد اقترح فى فقرة سابقة أن يكون مرتب الطفل الأول سبعة شلنات فى الأسبوع وأن يتناقص هذا المعدل بحسب زيادة الأطفال معللا هذا التناقص كما يأتى :

"يمكن القول أنه مهما يقدره الخبراء فان كل أم تعول ستة أطفال تعرف أن هؤلاء الأطفال لا يكلفون ست مرات مثل ما يكلفه الطفل الواحد من طعام وكساء ووقود ، وأنه إذا احتاج الطفل لسبعة شلنات ، على أساس أسعار ١٩٣٨ (أو ٩ شلنات بأسعار ما بعد الحرب المؤقتة) لسد هذه الحاجات ، فان ٤٢ شلنا لعائلة تعول ٦ أطفال (أو ٥٤ شلنا بأسعار ما بعد الحرب)

تبدو أكثر من اللازم. والحق أنه ليس من السهل أن يقدر الإنسان فى التقديرات السابقة متى يمكن تبرير إجراء إنقاص محسوس فى التكاليف عن كل رأس لعدد من الأطفال . هذا ويخصص من السبعة الشلنات وهو متوسط ما قبل الحرب ٥/١١ شلنات للأكل طبقا لغذاء شخص عادى . وقد يقل التبذير فى العائلة الكبيرة ، أما مبلغ الـ ٥/١١ شلنا فانه لا يتسع لأى تبذير . وثلاثة بنسات الوقود هى عبارة عن سدس الفرق المسجل بين عائلة من شخصين وعائلة من ثمانية أشخاص . ويمكن تحقيق اقتصاد ضئيل فى العشرة البنسات المخصصة للملبس فى العائلات الكبيرة بانتقال الملابس من شخص لآخر . ومتوسط السبعة الشلنات قابل للانتقاد إذا لم يحسب فيه حساب الإيجار ... ... الخ »

لفتت نظرى هذه الدقة فى تصميم المشروع ، التى تلتفت إلى توفير الفرق بين معدل الوقود لفردين والوقود لثانية ، وإلى ملاحظة أن ملابس الابن الأكبر تصلح للابن الأصغر فتقل النفقات فى العائلة الكبيرة ، وإلى أن قيمة الإيجار لا تتضاعف بنسبة تضاعف أفراد العائلة . وعمل حساب لذلك كله فى معدل زيادة المرتبات بزيادة الأولاد .

فهذه الدقة دليل على أن واضع المشروع لم يلتفت للنظريات وحدها ، ولكنه التزم أدق المشاهدات الواقعة فى الحياة اليومية ، ووضع تقريراته الحسابية على اساس هذه المشاهدات الواقعية .

وهذا مثل من أمثلة الدقة فى تصميم المشروعات نحن فى حاجة إليه كلما هممنا بمشروع إصلاحى ، فلا يجوز أن نعتمد على التخمينات والفروض ، بل يجب أن نعتمد على الإحصاءات والوقائع . وهذا المثل نموذج بارع للدقة المطلوبة فى المشروعات .

العناية بالنفس

للأستاذ صلاح الدين الأيوبي
وكيل إدارة البيع والرهن بوزارة التجارة

يجهل كثير من الناس أن ملكات النفس تنمو وتضمر تبعا للعناية بها أو إهمالها . فيظن أحدهم أنه قليل الانتباه أو أنه سطحي التفكير لأنه خلق محدود العقل ولا يمكن أن يغير من طبيعته ، أو يظن أحدهم أنه لنفس السبب ضعيف الارادة معتقدا أن الله إنما صب خلقه فى هذا القالب صبا بل صب طباعه أيضا فثبتت على سرعة الانفعال مثلا ناذا به من طينة غير طينة ذلك الذى يحتفظ بهدوئه فى أشد الأزمات .

مثل هؤلاء الناس يهملون العناية بأنفسهم نتيجة جهلهم بما أودعه الله فيهم من الكفايات التى تذوى على مر الأيام وتذبل . ففى أثناء العمل يكونون طبيعيين ويشعرون براحة نفسية نتيجة وجود خطة معينة للعمل ونظام مفهوم ورئيس يتولى التوجيه ، ولكنهم بعد ساعات العمل حيث لا توجد خطة معينة للحياة ولا نظام مفهوم ولا رئيس يتولى التوجيه تعتمد النفس مايتراءى لها من أساليب الحياة ونظمها ويتعاون على تكييفها العقل والخلق والطباع وهى مهملة وملكاتها آخذة فى الذبول .

ومما لا شك فيه أن هذا الإهمال كما يعود على صاحبه بالضرر فكذلك يعود على المجتمع ، لأنه يهبط بصاحبه عن مستوى الكفاية التى تتطلبها أعماله فتأتى معيبة وغير متقنة ، وخير عمل يجب أن يقدمه الإنسان لبلاده هو إتقانه عمله مستخدما كل مواهبه وملكاته فى ذلك . ودرجة إتقان العمل لا تعين منزلة العامل فحسب بل تعين عقليته وخلقه وطباعه . فاذا بدأ كل شىء معيبا ناقصا كانت بواطن الأشياء إنما تعبر عن أشباه الأشياء .

ولا تعبر عن الأشياء ذاتها ، إذا بادرت الأمور بالاعتذار عما كان يجب أن يكون محلها من الصواب والاتقان فما يكون ذلك إلا لأن الناس قد أهملوا أنفسهم :

وإذا أتى زمن الفساد ترى من حيث يصلح يكثر الخطب

ويتساوى مع هذه الفئة من حيث النتيجة أولئك الذين لا يعملون على أن يستفيدوا من هذه الحقائق مع علمهم بها . اعتقادا منهم بأن العمل على محاربة نقائص النفس والعمل على تنمية ملكاتها أمر شاق فضلا عن كونه غير ضرورى ما دام لا يحس بنقائص النفس أو بملكاتها غير النفس لإختبائها فى الأعماق عن الأنظار !

فأما السبب الأول فهو أقرب ما يتبادر إلى ذهن من لم يخض غمار محاربة النقائص النفسية ويذق نشوة الانتصار عليها ، فهذا الاحساس إلى جانب الشعور بزيادة الكفاية الذاتية بما ينميه الانسان من ملكاته يجعل الناحية اللذيذة من المجهود تتغلب على الناحية الشاقة منه . ويمكن اتباع الخطوات الآتية :

(١) افهم مقصدك جيدا . بين مقصدك وأهميته . سل نفسك " لماذا يجب على أن أنال هذا المقصد بالذات " .

(٢) لا تخدع نفسك . فانك لا تستطيع أن تنال مقصدا مالم ترغب بعمق واخلاص فى نيله . أربط إذن هذه الرغبة بهوايتك .

(٣) حض نفسك على أن تفهم جديا أن نوال هذا المقصد معناه قبول تغيير جوهرى فى أساليب الحياة . لا تندفع . استغرق من الوقت برهة فى إعداد نفسك قبل تنفيذ أى خطوة أخرى . استهلك بضع دقائق يوميا مدى عشرة أيام فى تركيز قيمة التغيير الجديد . الأعمال التى عليك أداؤها لتحقيق التغيير الجديد . الصعوبات التى عليك تذليلها . المكافأة الآجلة .

(٤) اختر ساعة معينة من يوم معين للبدء فى التغيير وارجع فى الاختيار إلى مفكرتك لتضمن أن تكون فى تلك الساعة على أحسن حالة نفسية . ومتى حانت فاهجم فى التنفيذ بكل قوتك . وتذكر أنك تربح نصف المعركة بحسن البداية . ولا تغفل أن تتخذ كافة الاحتياطات لعدم التوقف كأن تدع جميع أخصائك يعلمون انقطاعك فى تلك الساعة إلى مقصدك وهدفك .

(٥) استمر بنظام . فلا تقل لنفسك بعد فترة " لقد عرفت نفسى قويا على نفسى فلأعد إدراجى به فان مجرد التوقف بعد فترة قصيرة ضار أبلغ الضرر بتطور الخلق ، فلا تسمح بالتوقف ولا تسمح بالاستثناء . وليكن شعارك (استمر) .

(٦) انتهز كافة الفرص المشجعة ، بل أوجدها إذا تمكنت . فاذا قابلك شخص له مثل هوايتك فتكلم معه فى الموضوع . سله عما عن لك من الملاحظات فى (فهم مقصدك) أو فى (تحضير نفسك) . كن مستعدا لتغذى مجهوداتك بإزاء العقول التى قربتها الصدف منك .

وبعبارة موجزة تحصر هذه الخطوات فى الاستعداد وتعبئة عوامل الاقدام ، اختيار الزمان والمكان المناسبين للتنفيذ والتحفز له ، التنفيذ وتنشيط الجهود حتى لا تتوقف أو تتراجع .

لقد شهد العالم منذ قديم الأزمان شخصيات ناضجة غاية فى الروعة والجلال ، فان حياة سقراط بتمامها عزت عن المثيل، وقد خلد ذكر أرسطو خلود ذكر سقراط، ووسع ايكتيتوس رغم أنه كان عبدا وفقيرا أن يسمو بروحه حتى حلق فى علياء المجد .

إن نقطة التحول إلى المجد بالنسبة لهؤلاء القادة ولجميع من تلاهم فى جميع العصور هى تلك العبارة التى تقرؤها على معين ولفيس وهى (أعرف نفسك) ، وقد قيل :

وأعظم الأمر بعد الشرك نعلمه فى كل نفس عماها عن مساويها

وأما السبب الثانى الذى يغرى بتوفير مشقة إزالة نقائص النفس وتقوية فضائلها واكتساب المزيد عليها، ما دام أن نواحى النفس خافية عن الأنظار ولا يحس بها إلا صاحبها فهو خطأ شائع . فكثير منا يستطيع أن يقرأ الوجه ويتغلغل فى النفس ويقف على النقائص ويدرك الفضائل . هناك من يعرف أن سبب جرأة بعض الناس إنما هو نجلهم فى الحقيقة وأن هذه الجرأة إنما هى مكمل النقص . قال شارل واخبار مؤلف كتاب الحياة البسيطة وهو يخطب فى أحد الاجتماعات العظيمة فى نيو يورك "حينما أنظر اليكم كأنما أرى صفحة من كتاب فى كل وجه" والحقيقة أن كل من مارس مسئوليات الأعمال يعتمد على قدرته وكفاءته فى تقدير الخلق والمزايا حتى يستطيع أن يقرأ الرجال لأول وهلة فيضعهم فى الأماكن التى يليقون بها .

يتطلع الكثيرون إلى المجد ويغفلون عن ثمنه حتى باتوا يقولون عمن دفع هذا الثمن فاز المجد إنه سعيد الحظ ، موفق الطالع ، لأنهم يريدون شيئا سهلا وسريعا ويشتهون لو أن أحدا مد يده اليهم يساعدهم أو يدفع عنهم ثمن مجدهم . فيبدو عجيبا أمر أولئك الذين يفرضون على الناس أن يكرموهم حين يغفلون هم أنفسهم عن تكريم أنفسهم فيسمحون بالظهور أمام الناس بهذا الفقر النفسى المشين وما كان أولى بهم أن يخجلوا من نقائصهم قبل أن يطلبوا من الناس أن يكرموهم .

والحر من حذر الهوا ن يحاول الأمر الجسيما

فهل حاولت أيها القارئ الكريم أن تعرف نفسك وتقف على عيوبها وتحرر بها قائمة وتضع خطة لإصلاح هذه العيوب .

فأما الخطوة الأولى — وهى معرفة النفس لإحصاء عيوبها فإنها تتم بأن تسأل نفسك هذه الأسئلة :

(١) هل تفهم بوضوح معنى رسالتك للناس ومعنى رسالتهم لك ؟ هـل أنت مهتم وشغوف بعملك ؟ هـل أنت مهتم وشغوف بما تباشره فى وقت فراغك ؟ هل يمكنك أن تنتبه لمدة طويله إلى أمر من أمور عملك أو إلى أمر من أمور فراغك ؟ هـل يمكنك أن تتدبر النقط الجوهرية التى يعتمد عليها أى الأمرين أو كلاهما ؟ هل تتبع فى إصدار أمر أو فى تنفيذ أمر خطة ما واضحة ومفهومة لك جيدا أو أنك لا تتبع فى ذلك خطة ما وأنك مرتجل؟ وهل يقترن هذا الارتجال بالدقة والصواب وهل تؤدى عملك أو تباشر حياتك الاجتماعيـة متبعا فى ذلك ما تعارف عليه الناس من عمل أو قول أو أنك تنهج فى ذلك اقتراحات جديدة من بنات أفكارك ؟

وبعبارة موجزة ما مدى قواك العقليـة من حيث الانتباه والملاحظة والتفكير والتروى والتذكر والتخيل والابتكار ؟

(٢) هل يعتمد عليك فى علاقتك بالناس ؟ هل من صفاتك أن تواسى الناس ؟ هل أنت حساس ووجدانى ؟ هل يحيلك مؤثر خارجى عما صممت عليه ؟ هل تأتى الأعمـال الخاطئة مع علمك بخطئها وبعبارة موجزة ما مدى خلقك ؟

(٣) كيف تثبت أمام الملاحظات ؟ كيف تصمد للنقد ؟ هل تفقد صوابك أمام الحادثات ؟ هل أنت صبور ولطيف ؟ هـل يمكنك أن ترى وجهة نظر غيرك وتلتمس له الأعذار إذا كانت تعوزه صفات مثل عدم المجاملة أو عدم الظرف أو عدم الصفاء أو عدم التعمق فى التفكير؟ هل يمكن إغضابك بسهولة وبعبارة موجزة ما مدى طباعك ؟

وعلى ضوء ما يستخلص من المجموعات الثلاثة السالفة يمكن وضع تقرير عن الشخصية من حيث سلامة عناصرها — مرتبتها — عوائق نموها مثل :

(أ) مركبات النقص كأن يشعر الشخص بالخوف أو الخجل أو الضعف فيعتزل المجتمع وينكمش أمام بعض الناس

(ب) الرغبة فى الخيبة كالزوج الذى يكره زوجته فيكره أولاده منها لأنه يكرهها ثم يخشى أن ينجح فى الحياة لأنه يحس أن نتائج نجاحه إنما تعود إلى هؤلاء المبغضين فيكره أن ينجح ويتمنى الخيبة .

(ج) العادات السيئة التى تستهلك الوقت والصحة والمـال قيل :

غير مجد مع صحتى وفراغى　　　طول مكثى والمجد سهل لباغى

وهو ما تحققه الخطوة الثانية وذلك بوضع منهج للسير فى الحياة بمقتضاه سيرا نافعا للفرد نفسه وللمجتمع معا

صلاح الدين الأيوبى
ليسانس فى القانون وليسانس فى الفلسفة والاجتماع

المناحة الدائمة

فى الأغانى المصرية

للأستاذ محمد قطب

فى مصر — فى أغانيها وموسيقاها — مناحة دائمة . فحيثما استمعت إلى المذياع أو إلى المغنين فى المجالس والطرقات طرقت أذنك تلك الألحان الحزينة المتهالكة الشاكية تتخللها آهات كآهات المرضى أو حشرجات كحشرجات المحتضرين !

والدنيا جميعها تألم وتفرح وتهدأ وتثور وتتعاقب عليها الشعورات البشرية المختلفة ولكننا فى مصر فى نشيج دائم متحد المعنى متماثل الأنغام لا يختلف إلا فى الصوت الذى يؤديه !

الدنيا كلها تحس نشاط الربيع الزاخر الذى يفتت القيود وينطلق بالنفس الإنسانية حيثما تستطيع الانطلاق ، وتحس بوقدة الصيف اللاذع الذى تتقى أو تحب حرارته ، وتحس بهدأة الخريف الراكد المظلم الحزين ، وتحس بلذع الشتاء المؤلم الذى تنطوى فيه النفس على ذاتها أو تصيح بالألم ، ولكننا فى مصر فى خريف دائم من الأحاسيس ، محزونون راكدون لا نخرج مرة إلى نشاط الحياة !

وهذا عجيب . فليس من المعقول أن يكون الله قد منح الشعوب جميعها نعمة الحياة المتجددة المختلفة الألوان وخص مصر وحدها بهذا الموت الفنى الذى تلهث أنفاسها تحت عبئه الثقيل .

ليس هذا بمعقول . وإنما مصيبة مصر أنها نكبت بطائفة من الموسيقيين يشيع فى أحاسيسهم اللين والطراوة ، فتنبعث ألحانهم متكسرة رخية توحى بالتراخى والكسل ولا توحى مرة واحدة بالنشاط والحياة .

وقد حاول هؤلاء الموسيقيون أو المدافعون عنهم أن يتهموا الشعب المصرى بأسره بأنه شعب مريض متخاذل حزين ، وقالوا فى سبيل الاستدلال أنه لو لم يكن مريضا لما قبل هذه الألحان المريضة ولا طرب لها هذا الطرب الشديد !

وهذا منطق مقلوب . فأى شعب فى الدنيا يقدم له هذا الغذاء المسموم باستمرار ولا يقدم له غيره أبدا ثم يبقى فى بنيته بعد ذلك شىء من السلامة ولو كان من أصح الشعوب ؟

ومع ذلك فقد بقيت فى هـذا الشعب الذين يدعون عليـه المرض بقية كبيرة فى المدن وفى الصعيد وفى الريف لم تفسدها الأغانى المائعة ولم تمسخ طبيعتها، فبقيت ترنم بألحان فيها قوة وسلامة لعل المستمعين إلى الإذاعة قـد لحظوهما فى الأغانى الصعيدية التى تذاع بين الحين والحين فيقبل عليها الشعب ويرددها فى كل مكان .

وهم يقولون إن الشعب المصرى بطبيعته شعب حزين فلا تلائمه الا الأنغام الحزينـة التى تشبه ألحان الجنائز . ويستدلون على ذلك بأن الألحان الفرعونية التى عاشت حتى اليوم فى الكنائس وغيرها كلها ألحان حزينة مشجية لافرح فيها ولاانطلاق . وهذا بعض الحق وليس هو الحق كله . فلا شك أن الشعب المصرى ميال الى الحزن مندفع اليه ولكن لا شك أيضا فى أنه ميال الى الفرح مندفع اليه بقوة . فلا تجد مجالا للفرح و"الهيصة" الا اغتنمه المصرى وأغرق فيـه . بل إن المصرى سريع الاندفاع الى كثير من العواطف . فهو سريع الحزن سريع الغضب سريع الفرح سريع الحماسة سريع الهدوء بعد ذلك . فما بال هؤلاء الموسيقيين قد راحوا يضربون على النغمة الحزينة وحدها ولا يغيرونها أبدا مع أن المصرى شديد الاستعداد لأن يتلقى غيرها من النغمات وخاصة ما هو متصل بالفرح والحماسة ؟ ! .

لقد عمدوا الى ذلك ثم راحوا بعد ذلك يتهمون الشعب كله بالحور والقصور . .

ثم مسألة أخرى . فلنفرض جدلا أن الشعب المصرى لا يستطيب إلا لونا واحدا من الغناء هو الغناء الشجى الحزين، فمن قال إن الحزن والشجى يعنيان المرض والذلة والانكسار. إن الحزن ألوان عدة منها القوى ومنها الضعيف، منها السليم ومنها المريض، فلماذا لا يقدمون للشعب حزنا آدميا سليما إن كان لا بد من الحزن ؟ وإن كان يعوزهم المثال فليذهبوا الى قرى الصعيد وليستمعوا هناك الى الشجى الحقيقى . شجى الرجل الذى يتألم فتحس فى ألمـه بالرجولة لم تنكسر ولم تذل، وتحس أنه شجى إنسان حى يتعذب فيرسل نفسه لحنا شجيا وليس هو تأوهات لينة مستخذيه الأنين .

وهم يقولون أيضا إن الشعب المصرى بعد أن طال عليه الاحتلال قـد صار يحس فى "لا شعوره" بالألم وعلى هذا فأغانيهم المريضة هى الصدى الحقيقى لإحساس الشعب . وفى ذلك شىء من الحق وليس الحق كله . فقد مرت على الشعب فترات كان لا يجد فيها نفسه ولا يحس بكيانه . ولكن الشعب الذى هضم الحضارات كلها وابتلع جميع أنواع الاحتلال وبقى بعد ذلك كله محافظا على تقاليده وعاداته لم يؤثر فيـه شىء ، ذلك الشعب لا يمكن أن تموت روحه الكامنة أو تهن على ممر العصور وإن هى إلا فترة رقيقة تزيحها حتى تجد مصر الحقيقية — مصر القوية من وراء تلك المظاهر الجوفاء .

فهل حاول هؤلاء الموسيقيون أن يتعرفوا روح مصر الحقيقية وأن يمثلوها لنا فى فن صحيح ؟ .

ويقولون إن الألحان المصرية أو الشرقية الخالصة لا تكفى وحدها للتعبير الفنى الكامل ويبررون بهذا ما يقومون به من السرقة الصريحة من الألحان الغربية ما يوافقنا منها وما لا يوافقنا سواء !

وخروج موسيقى مصرى واحد كسيد درويش استطاع أن يقدم ألوانا مختلفة من الموسيقى للتعبير عن الألوان المختلفة من الأحاسيس ، واستطاع أن يقدم فوق ذلك تعبيرا إنسانيا صحيحا لا مرض فيه ولا حيوانية مستخدما فى ذلك الألحان المصرية والشرقية الخالصة — موسيقى واحد كسيد درويش ينفى جميع هذه المزاعم التى يستتر وراءها أولئك الموسيقيون .

ثم إن الموسيقى فن واحد من الفنون التى تعبر عن النفس الانسانية ولها أخوات هى الشعر والتصوير والنحت وغيرها من الفنون ... فما بال هذه الفنون الأخرى قد تقدمت جميعها خطوات واسعة وبقيت الموسيقى وحدها متخلفة عاجزة عن أن تساير النهوض ؟ إن الشعب الذى أخرج فطاحل الأدباء والشعراء المصريين وأخرج مصورين بارعين ومثالين مجيدين لا يمكن أن يكون كل جهده الموسيقى هو ذلك الذى تقدمه لنا طائفة الموسيقيين الحاليين . ولا بد أن يكون فى أطوائه زخيرة فنية أرقى من ذلك يعوقها عن الظهور هذا الجو المسمم بالغناء المريض .

أيها الموسيقيون ، لقد شبعنا تهالكا وحزنا . أسمعونا مرة واحدة لحن الحياة . أو تنحوا عن الطريق .

محمد قطب

على هامش التربية :

نظرات فى كتاب أميل

لجان جاك روسو

بقلم الكاتبة زينب محمد حسين

كان من العسير أن أطرق موضوع التربية فى مقالاتى السابقة التى نشرت فى هذه المجلة دون أن أتعرض لذكر كتاب (أميل) دستور التربية فى أوربا فى وقت من الأوقات ، فشهرة كتاب (أميل) شهرة عالمية حتى لا تكاد تخلو منه مكتبة من المكتبات الراقية . فهو ثروة جامحة عصفت بالعالم الأوربى سنة ١٧٦٢ وكانت نتيجتها أن طورد روسو فى مختلف الممالك الأوربية وهاجمته الأندية العلمية وصادرت كتابه وتبرأ منه البابا وتحالفت عليه المتاعب وأحاط به العنت والاضطهاد .

وروسو لم ينشأ نشأة يحسد عليها ، وإن كان من الضرورى لاستيفاء بحث حول كتاب تربوى أن نبدأ البحث أولا حول بيئة الكاتب وقيمته الاجتماعية وظروفه الخاصة تلك الأشياء التى تؤثر على الكاتب ، وترويه من معينها ، وتغذيه بتعاليمها فيخرج نتاجه ثمرة غرسها وتعاليمه من أصل تربتها ؛ فلست أحب أن أتناول حياته الخاصة بالبحث والتنقيب فقد تناولها من قبل مئات الكتاب فى الغرب والشرق . وإنما يعنينى أن أتناول كتاب أميل ذلك الكتاب الاجتماعى الخطير .

فما لاحظته على مؤلف الكتاب من كتابه أنه خيالى ، وخيالى متطرف ، ولاغرابة فى ذلك فقد وضع دستوره فى قصر صغير تبرع له بسكناه دوق لكسمبور وزوجته ، وهذا القصر خلوى جميل يحيط به نبع ماء من ناحية ، وأشجار البرتقال من الناحية الأخرى حتى لقد شبه بعضهم ذلك المنزل بأنه كالجزيرة الجميلة Isolo Bella فى البحيرات الايطالية .

وفى هذا العش الفاتن ، بين همس الطيور ولحن المياه وعبير أشجار البرتقال وبين هجوع الطبيعة وروعة الفنان الأعظم ، كتب روسو كتابه (أميل) بخاء يحمل شذى الطبيعة ، ليعطر بها ابن الطبيعة تلميذه الوهمى (أميل) .

فروسو يريد فى كتابه أن يجعل الطبيعة أساس التربيـة ، والتحرر المطلق من كل قيد فالطفل يولد فلا يحزم بقماط ولا يلف بأربطة ، بل يترك طبيعيا لا قيود ولاسدود . ثم يعلم وسط الطبيعة السافرة حيث يجد فيها الحرية الواسعة ، وحيث الأرض ملك للجميع ، فلا وطن ولا قومية ولا ملكية ولا شيء أللهم إلا الطبيعة أم العالم ، حيث الدين ؛ دين الطبيعة .

ثم نراه وهو يناقض تلك الآراء فى أقواله وأعمـاله ، فهو سو يسرى متطرف طالما انتضى قلمه يدافع به عن أهل وطنه كما حدث بينه و بين ڤولتير عندما أراد الأخير أن تمثل له رواية فى جنيف ، فأقام روسـو عليه الدنيا وأقعدها زاعما أن التمثيل مفسـد للأخلاق ولا يجب أن يتعرض أبناء وطنه لمفاسده . كذلك نراه حينا قد اضطر إلى اعتناق الكثلكة بدل البروتستانتينية دين آبائه وأهل وطنه ثم ما لبث أن رجع إلى دين قومه وظل عليـه إلى أواخر أيام حياته . كذلك فهو نفسـه الذى قال إن التربية يجب أن تصبغ بصبغة وطنية ، فتوجه الأفكار والاذواق وجهة وطنية ، وأن يرضع الطفل هـذه الوطنية مع لبن أمه حتى يعيش ويموت لوطنه ولا يرى شيئا غير وطنه .

كل هـذه المتناقضات وغيرها تدل على الشذوذ الفكرى لروسـو مع ما له من آراء صائبة قيمة .

والحق أن الوطنية من أهم العوامل التى يجب أن نعتز بها ونفاخر ، لأنها رمز الشهامة وعنوان النبالة والتضحية ، والتفانى فى سبيل اسعاد الوطن و بناء مجده ورفعة شأنه ، ومع ذلك فأقوال روسو فى الوطنية متباينة متناقضة ، فهو يدعو إلى الأخذ بهـا حينا ، و يطالب بالتحرر منها فى حين آخر ، ولست أشك فى أنه كان ينساق إلى تلك الآراء انسياقا تحت تأثير فكرة عارضة تسنح له .

وهو يرى أن يشب الطفل على الفطرة و يعيش برفقة مؤدبه بعيـدا عن المجتمع ، وأن يتعلم بنفسه و يسمى ذلك بالتربية السلبية ، والحوادث فى نظره هى التى تعلمه شؤون الحياة ، ولست أدرى إذن كيف يتعلم من الحوادث مع أن الحوادث لا تتم إلا إذا اتصلت بالمجتمع ! و بما أن المجتمع فى نظره فاسـد فعلى تلميذه أن يعيش بين الغـابات والأحراش كما تعيش الحيوانات ، وذلك كى يأمن عليه من أن تتسمم أفكاره بما فى المجتمع من مفاسد وشرور ، هذا مع أن الانسان اجتماعى بالفطرة ، فكيف إذن توحى الفطرة ، مع ما فيها من طهر ونقاء ، بالاجتماع على ما به من مفاسد وشرور ؟

ويقول إنه على المؤدب أن يؤدب الطفـل إذا أخطأ دون أن يشرح له ماهيـة تلك الأخطاء ، بل أن يفهمه أن ذلك العقاب نتيجة محتمة لذلك العمل .

ويفضل روسو وجود الظرف الذى يؤهل للطفل تعلم الأشياء التى لا بد منها للحياة ، فمثلا يجد (إميل) نفسه أمام لوحة يريد أن يعرف ما بهـا وهو لا يقرأ ، فيضطر إلى التعـلم ليستفيد من العلم المعرفة ، وهنا يعنّ لنـا أن نتساءل ، كيف يمكن أن يلم (إميل) بالمعرفة دون أن يعرف شيئا عن العالم الخارجى ؟ ولكنها على كل حال آراء روسو المتطرفة .

كذلك يريد أن يكون تلميذه نباتيـا يعيش على الخضر والفاكهة ، وأن يعتنى بتربية حواسـه ، وأن تترك له الحرية التـامة فى أعماله وتصرفاته متحملا نتيجة ما بهـا من خطأ وصواب .

ويجدر بنـا أن نتصدى لهذا الرأى ، فالإنسان يولد بالطبع ناقص العقل وفى تصرفاته ولا شك أخطاء كثيرة قد تبلغ أحيانا حد الخطورة ، فهل من الأصوب حقا أن ندع الطفل يتحمل عواقب تلك الأخطاء ؟ إن روسو يريد ذلك ، فاذا حدث وحطم الطفل مثلا لوحا من الزجاج فى نافذة غرفته فلا يوضع لوح آخر ، دون الاهتمام بما يصيب الطفل من نزلات البرد التى ربمـا تقضى على حياته ؛ فان ما يشعر به من ألم سيدعه فى المستقبل حريصا على زجاج النوافذ فلا يحطمها . وهو فى هـذا الرأى يتجرد من العـاطفة تجردا يظلم معه طفله القاصر ، وليس من المعقول طبعا أن تترك الأم طفلها ، مهما اتهمت بالقسوة ، ليتعرض للمرض والموت كى يتعلم درسا لا ينساه .

وليس من الغريب أن يجاهر جان جاك روسو بتلك الآراء وهو الذى لم يرله أما وعاش محروما من الحنان المنزلى ، فقد ماتت أمه بعد ثمانية أيام من ولادته فتقاذفته الأيام بين صروفها وأراه الدهر كثيرا ممـا خلق فى نفسه تلك الأوهام ، وهو شخصيا قد أدخل أولاده الخمسة فى أحد الملاجئ مع ما كان ممتعا به عندئذ من رغد العيش ، فكيف يشعر من كانت هـذه أعماله بالعطف الأبوى والحنان التربوى ؟

إنه يريد أن يعزل الطفل حتى عن أمه ، وألا يكون معه غير مؤدبه الشاب الذى يقضى معه أكثر سنى حياته ، والذى يجب أن يكون بلا أجر كما يقول روسو حتى لا يكون له دافع فى تربيته إلا الميـل الشخصى . ولست أشـك فى استحالة تلك المطالب الخياليـة التى كان متأثرا بها فيلسوف القرن الثامن عشر من المناظر الطبيعية (والتابلوهات) الخلوية الفاتنة كما وضحت فى أول المقال .

فاذا سلمنا جدلا بأننـا وجدنا هؤلاء النسوة اللائى يرضين بمفـارقة فلذات أكبادهن ، فكيف نجد المربين ؟ وإذا فرضنا وجدان هؤلاء أيضا فهل يتم لنا الحصول على جيل صالح مثالى يقربنا من " السبرمان " المزعوم ؟ أم نحصل على جيل ساذج خيالى تملؤه الأوهام ، يعمل بحواسه ولا يفكر بعقله ؟ جيل لابد له أن يختلط بالمجتمع فى يوم ما فيظل معه على طرفى نقيض ، لأنهما لن يتفاهما ، ابن الطبيعة الخيالى ، وابن الحقيقة والتجارب والمجتمع ؟

إن تعاليم روسو لو طبقت جدلا وحصلنا على (إميل) فان يلبث اميل أن يصطدم بتيار المجتمع الجارف بعد أن يصير شابا فيصيبه فى نفسه ومعلوماته وميوله ، فإما أن ينزوى ويعيش غريبا بين الناس وإما أن يخضع للمجتمع من جديد فيحاول أن ينهل من تعاليمه التى يجهلها فى كبره ما كان لا بد له أن ينهله فى صغره ، وفى هذا من الصعوبة ما يعرضه لأشد ألوان التجارب وأقساها على نفسه المفطورة على الحرية اللا محدودة ، وعقله الذى جبل على عدم البحث والتنقيب ، ذلك العقل الذى أراد له روسو أن يعيش فى محيط الجهل حتى يبلغ تلميذه الثانية عشرة بعيدا عن استعمال الكتب ، وكأن فى استطاعة مداركه أن تنمو بعيدة عن المرانة اللازم لها .

ولا يفوتنى فى هذا المقام أن أعرض رأى روسو فى تربية المرأة ، فهو يرى أن المرأة لم تخلق للعلم والحكمة ولا للفن والسياسة ، بل خلقت لتكون أما تنجب أولادا تعيش لترضعهم حتى إذا تمت مدة الرضاعة عهدت بهم إلى المؤدب لتستأنف عملية الوضع والرضاع من جديد ، على أن تكتفى بمبادئ المعرفة الأولية البسيطة .

ومع ما فى هذا الرأى من نواحى الحقيقة ، ففيه أيضا الكثير من نواحى الأنانية والاستبداد ، استبداد رجل العصور المظلمة الذى كان يعتقد أن المرأة دابة خلقت لحفظ النوع .

ولا نزاع هناك بأن وظيفة الأمومة هى الوظيفة الحقيقية للمرأة وأن البيت هو مملكتها الصغيرة ، ولكن ذلك لا يمنع مطلقا من أن تكون ربة تلك المملكة على جانب محترم من المعرفة كى تتمكن من الاحتفاظ بمكانتها والقدرة على إدارة شؤون مملكتها ، لا أن تكتفى كما يقول بتعلم مبادئ المعرفة البسيطة ، فالعمرى إن الجهل المطبق لخير من العلم الناقص والمعرفة المبتورة . . .

وروسو يقول إن الفتاة ذات الذكاء والعبقرية وباء لزوجها وأسرتها وأصدقائها وكل معارفها ، لأنها فى علياء نبوغها تحتقر كل واجباتها كامرأة وتتعالى عن دائرتها الطبيعية للتطلع الى مراكز الرجال ، وأنى أؤيد كل من يوجهون النقد للمرأة التى تتطاول على مراكز الرجال ، بل أدعوهم ليوجهوا إليها مر النقد فالإنسان لا يسلم من النقد إذا خرج عن طبيعته التى هيأتها له المقادير ، لأن مكانة المرأة فى مكانة زوجها ، ومسرتها فى إسعاد أسرتها ومدى ما تقدمه لها من رفاهية وهناء .

ومع ذلك فروسو هنا يتجنى كثيرا فى آرائه على المرأة المتعلمة بوجه خاص ، دون التفرقة بين هؤلاء اللاتى تعلمن لمزاحمة الرجل ، اولئك اللاتى تعلمن حبا للمعرفة ، وشغفا باستجلاء حقائق الحياة .

والحقيقة كما يراها بعض نقاد روسو انه ما دفع إلى افترائه على المرأة المتعلمة إلا ليضع ستارا على حقيقة حياته عندئذ وتبريرا لموقفه فى معاشرته لامرأة جاهلة بلهاء كثيرا ما عابه الجميع على الركون إليها رغم نزعته الفلسفية فى الحياة .

ولهذا فهو القائل أيضا بأن أدوات التبوغ تتعدى مرامى النساء ، فليس لهن الثقة التى تكفل لهن النجاح فى المسائل الدقيقة ، متناسيا أن للمرأة استعدادا طبيعيا لإجادة كل ما يعرض لها من شؤون الفكر والفن ، وأن تاريخ الدول حافل بأسماء عظيمات النساء اللواتى قدمن للعالم من الإنتاج والتقدم العلمى ما تعتز به تلك الدول وتدونه فى أنصع صفحات مجدها ورقيها الفنى ولست فى حاجة إلى ذكر الأسماء فهى ليست فى حاجة إلى تبيان ويكفينا مثلا مدام كورى مخترعة الراديوم .

فاذا سلمنا بعد ذلك لروسو بنظريته فى ابقاء المرأة على جهلها ، واعتبارها أداة خلقت للهو الرجل ومسراته ، وإرضاء ميوله ونزواته ، فكيف يستطيع (اميل) ربيب الطبيعة وتلميذ المؤدب وخريج الحياة ، كيف يستطيع متى بلغ مبلغ الرجولة أن تشاركه الحياة جاهلة تترعرع فى أوحال الغباوة والتبلد ، وهو ابن الطبيعة الخيالى ، العائش بين بدائع الفنان الأعظم وملكوت الخيال والكمال ؟

ولا ريب أنه كان من الأصوب لروسو أن يحتفظ لتلميذه بالمستوى الذى دفعه اليه طلب المعرفة عن طريق الطبيعة وحوادث الأيام ، فيفرض لزواجه امرأة توازيه من حيث المعرفة يقيم بينهما التفاهم الكلى ، لا أن يبتليه بامرأة تعطيه من جهلها أكثر مما يعطيها من معرفته .

ويقينى لو تنبه روسو حينئذ الى أن الحياة المنزلية ليست كلها كمحيط منزله الخامد ، وليست كل النساء كشريكته الغبية البلهاء لعرف أنه لا بد لكل من الرجل والمرأة من المعرفة الكاملة ، وليس هنالك ما يحتم نقصان معرفة المرأة عن معرفة الرجل ، لأنها هى التى تتعهد الرجل طفلا ، وترعاه رجلا ، وانها هى التى تغرس فى طفلها بذور المعرفة والدراية رغم كل النظريات والآراء ، وأن الطفل لا يفتح عينيه إلا على وجهها ، فيحاكى أقوالها وأفعالها ، ليكون نسخة ثانية منها .

ان فى كتاب (أميل) نظرات تضيق بها هذه الصفحات المحدودة ، ومع ذلك أتمنى أن أكون قد عرضت فى هذا المقال الموجز للنواحى الهامة فى هذا الكتاب ، الذى أخرج منه بأن روسو له آراء قد تكون خاطئة ، ولكنها قد تكون سابقة لأوانها ، وفى الحالتين لا تصلح بجملتها كى نطبقها على المجتمع ، وإن كان لا بد لنا من الاسترشاد بها إذا ما أخذنا فى إصلاح طرق التربية .

زينب محمد حسين

صور من حواضر مصر المجهولة :

فى المحلة الكبرى

بقلم الأستاذ محمد عبد الكريم

عرضنا فى مقالنا السابق لدمياط كأكثر مدن القطر نشاطا فى الانتاج الصناعى، وأرجعنا ما لمسناه فيها من نهضة مباركة الى خلق بنيها وما فطروا عليه من ميل الى العمل فى صلاح واستقامة ، واليوم ننتقل بالقارئ الى مدينة أخرى بلغت فى انتاجها الصناعى مكانا لا يقل اليوم عن مكان دمياط ، تلك هى المحلة الكبرى .

كانت المحلة الكبرى الى ستين سنة خلت قصبة مديرية الغربية، كما كانت أكبر مدن الوجه البحرى بعد الاسكندرية، إذ بلغ تعدادها فى ذلك الحين خمسين ألف نسمة، وقد اشتهرت من القدم بصناعة النسيج ، إذ كانت كما ذكر فى الخطط التوفيقية المورد الرئيسى لانتاج المصنوعات الحريرية : كعصائب الرأس والكريشة الحريرية والملاءات والأحزمة. وكان لأهليها ماض مجيد فى ميدان العلم والدين اذ عمرت بار بمائة مسجد عفا أكثرها وزال و إن كان بها حتى اليوم ما يقرب من السبعين، ومن مساجدها الشهيرة مسجد الشيخ فضل، والحنفى، والمتولى، وعبد ربه، والمحجوب ، وقد أنجبت المحلة عددا كبيرا من صفوة العلماء الذين تزخر المكتبة العربية بمؤلفاتهم القيمة : كالجلال المحلى الذى وصفه الجلال السيوطى بأنه المثل الأعلى للعالم الفاضل ، كان مهيبا ، شجاعا فى الحق ، لا يخشى حاكما ولا يتردد فى مواجهة الظالم بنقده ونصحه، وكان على علو كعبه ورفعة قدره يعمل فى التجارة ولا يرى فى الاشتغال بالعلم ما يدعو الى القعود عن طلب الرزق . وممن أنجبت المحلة أيضا أبى النور صاحب تصانيف النجمة الزاهرة ، والنزهة الفاخرة ، ومحاسن النظام . ومن علمائها أيضا عبد الرحمن المحلى الذى قيل فيه كما ورد فى ”الضوء اللامع“ للسخاوى :

يكاد من دقة الألفاظ يحمله	روح النسيم و برق السمع يخطفه
قد رق حتى إذا لو حل من أدب	فى طرف ذي رمد ما كان يطرفه

ومنهم كذلك أبو الفتوح المحلى ، وأبو العباس السلمى ، والبهاء الشيشينى ، وابن الرعاد، والزرقانى وغيرهم، وقد مرت بالمحلة، شأن حواضر القطر القديمة، من تقلبات الأيام احداث وأزمات. فلقد حدثنا الجبرتى كيف ثارت المحلة الكبرى على الفرنسية عام ١٢١٤ ه وكيف قو بل

أهلوها بنيران حامية من مدافع العدو حتى أرغموا على التسليم بعد أن قتل قاضيها ومات بنار العدو المئات العديدة من بنيها . وقد كان رواج الصناعة بالمحلة مطمعا للولاة والحكام فكانوا يخصونها بخراج يفوق فى كثير من الأحيان طاقة سكانها، ولقد حدثنا صاحب الخطط عن مرور عزيز مصر محمد على الكبير فى جولته لجمع الضرائب، إذ فرض عليها خمسين كيسا فعمل حاكمها على جمع المقدار بكافة السبل الا أن الأهلين لم يقووا على تقديم هـذا القـدر الذى نقص سبعة أكياس فألزمهم الحاكم بتقديم عدد كبير من الجياد والجمال عدا ما ألزموا بإهدائه من منتجاتهم كالمقاطع الحريرية والزردخانات والثياب المحلية .

ولما عممت زراعة القطن فى البلد فى عهد محمد على الكبير اشتغلت المحلة بغزله ونسجه فأخرجت أنوالها القماش الشعبى المعروف بالغزلى، وانتجت الملاءات والأقمشة الوبرية كالمنشفات " البشاكير والفوط " وغيرها ، وقد عانت الصناعة بالمحلة بعد الحرب الماضية من منافسة الدول الأجنبية وخاصة اليابان أزمة كادت تقضى عليها لولا ما التجأت اليه الحكومة من فرض رسوم جمركية لحماية التجارة كما سنبين فيما بعد .

حدثنا بعض أصحاب أنوال الحرير هناك أنه عرض فى معرض عام ١٩٢٦ بعض مصنوعاته من الأحزمة الحريرية وصادف أن عرج على محله بعض المتفرجين من الأجانب وكانوا من أبناء اليابان فاعجبوا بما شاهدوه وأبدوا عطفا على الرجل وشجعوه باقتناء بعض منتجاته ، ثم مضوا الى أنواله يشاهدون طريقة عملها ، ولم تكد تمر على هذه الزيارة أربعة شهور حتى تلقت البلد من اليابان رسائل عديدة من الأحزمة الحريرية من ذات الشكل الذى يصنعه الرجل بربع الثمن الذى يبيع به ، وقد تبين أن الزوار الكرام بعثوا بالعينات والمواصفات إلى بلادهم فقلدت أدق تقليد وأرسلت الى مصر كما كانت ترسل الساعات من اليابان الى سويسرا ربة صناعة الساعات لتباع هناك بالوزن لا بالعدد . . . وهكذا اتى على المحلة حين من الدهر عانت فيه متاعب كادت توقف دولاب العمل فيها وتقضى على بنيها بالبطالة لولا أن قيض الله لساكنيها ذلك المشروع العظيم الذى أوجد العمل لعشرات الألوف منهم والذى يعتبر بحق فتحا جديدا فى عالم الصناعة بالبلد بأسره .

ففى عام ١٩٢٧ صح عزم كبار الماليين من المصريين وعلى رأسهم الزعيم الاقتصادى المغفور له محمد طلعت حرب باشا على تأسيس شركة صناعية للغزل والنسج هى باكورة أعمال بنك مصر وأولى منشآته ، فاكتتبوا لها بمبلغ ثلثمائة ألف جنيه واستصدروا مرسوما بتأسيسها ، وفى عام ١٩٢٨ بدأت الشركة عملية البناء بمدينة المحلة على أرض مساحتها اثنان وثلاثون فدانا وأرسلت الى الخارج بعثتين : الأولى قوامها اثنان الى الهند والثانية من ثلاثين شابا من خريجى

المدارس الصناعية أوفدت الى بلجيكا وعاد الشبان بعد مرانتهم الى مصر وبمعونة الفنيين من الأجانب من النمسا وتشيكوسلوفاكيا قاموا بتركيب الماكينات وإدارتها .

وفى ديسمبر سنة ١٩٣٠ تمكن المصنع من أن يخرج أول ثوب من النسيج ، وكان عدد مغازله حينذاك أثنى عشر ألفا وأنواله ٤٨٤ نولا . وفى سنة ١٩٣٢ أدخلت به صناعة الأقمشة الوبرية "كالفوط والبشاكير" وصناعة المنسوجات الخفيفة كالبوبلين ، كما أعد به معمل للقطن الطبى يكفى لتموين البلاد من هذا الصنف . وقد كانت منتجاته كما شهد بذلك الدكتور فويتزمونك رئيس أطباء مستشفى مارتن لوثر ببرلين نوعا ممتازا لا يفضله أى نوع من الأقطان الأخرى كما أنشئ به معمل للخيوط السميكة " الدوبارة " .

وفى عام ١٩٣٤ زادت الشركة مغازلها الى سبعة وأربعين ألف مغزل كما أبلغت أنوالها إلى ألف نول وأنشأت مصنعا للجوارب "والفانلات" وآخر "للناموسيات والدنتلات" وزادت رأس مالها الى ثمانمائة ألف جنيه ، كما بلغ عدد عمالها فى تلك السنة عشرة آلاف عامل وفى عام ١٩٣٥ زاد هذا العدد الى ثلاثة عشر ألفا وأديرت مصانع الصباغة والتبييض والطباعة وكبرت محطة التوليد وزيدت أنوال الكتان الى ٣١١ نولا .

واذ لاحظت الشركة أن سوق الغزل محصور فى انتاجها هى وشركة الغزل الأهلية فقد اتفقت مع الأخيرة على إنشاء مكتب مشترك لبيع الغزل بسعر موحد وهو عمل احتكارى غايته منع المنافسة من جانب والحيولة دون تسرب الغزل الى غير اغراض الانتاج المحلى وهذا الاتفاق هو ما يسمى عند رجال الاقتصاد Cartel avec gestion commerciale par un burean de vente .

وقد استقبل المصنع ببداية عام ١٩٣٧ عهدا جديدا اذ كان قد استوفى كل مرافق عمله ، فقواه المحركة أبلغت الى عشرين ألف حصان ، وأنواله زيدت الى أربعة آلاف وقد ساهمت الشركة فى تأسيس شركة النسيج الرفيع بكفر الدوار التى أقيمت باتفاق بين بنك مصر وشركة صباغى برافورد . وفى نهاية تلك السنة سعد المصنع بتشريف حضرة صاحب الجلالة الملك الذى أبدى ارتياحه السامى لما رآه ، وبعد ذلك بعام واحد كان مصنع الصوف قد بدأ عمله وأخرج باكورة منتجاته التى تعطف جلالة الملك فأمر باقتناء بعضها . وتسير مصانع الشركة بخطى ثابتة فى سبيل تموين البلد بما يحتاج اليه من غزل ونسيج ، وقد سدت هذه المصانع نقصا كبيرا وقامت بدور بالغ فى الأهمية فى هذه الأزمة التى انعدم فيها الوارد من المنسوجات الأجنبية بسبب الحرب القائمة . وقد نالت مصانع الشركة اعجاب كل من شاهدها ، ودفتر زيارتها حافل بشهادات الكبراء والعظماء من مصريين وأجانب نكتفى بذكر

ما قاله المسيو تونيس رئيس وزراء بلجيكا عنها اذ صرح بأنه "لو شيدت المصانع فى أوربا بمثل ما شيدت عليه هذه المصانع لوفروا كثيرا من القوانين الاجتماعية التى اضطروا الى سنها ابتغاء راحة العمال" .

فى حقل الانتاج :

كنا فى الصباح الباكر ، والعمال يتقاطرون على المصنع تقاطر النمل على الشهد ، جيش كبير ، يسير فى حلله الزرقاء الى ذلك البناء الذى لا يكاد يدرك الطرف أقاصيه ، فاذا اتبعناهم الى أبواب عنابر العمل وقفنا مشدوهين لما نرى ، هذا عنبر الغزل الأول ، آلاف عديدة من المغازل الكهربائية يديرها شباب وفتيان يعملون فى سرعة فائقة ، فأنت لا ترى غير عجل ، يدور وبكرات تتحرك ، وأياد ترفع وتخفض ، ورءوس تعلو وتهبط ، تشاهد فى هذا العنبر وفى العنبرين المجاورين له عشرات الألوف من هذه المغازل يدخل فيها القطن خاما فيخرج غزلا صالحا للحياكة ، فاذا انتقلت الى عنابر النسيج ألفيت تلك الخيوط الدقيقة يلف بها فى أنوال كبيرة الحجم ، عديدة الأجزاء ، فلا تكاد هذه الأنوال تلمس الخيوط بمقابضها حتى تحيلها نسيجا متماسكا صالحا للاستعمال . ثم هناك غير هؤلاء عشرات العنابر فى كل عنبر عمل ولكل منها مهمة واختصاص . هذا مصنع الكتان ، وهناك مصنع الصوف ، يقابله مصنع الخيوط السميكة (الدوبارة) ثم مصانع الجوارب والفانلات ، وقد شاهدنا فتيات يعملن فى حذق ومهارة يحالدن الصناعة مجالدة الرجال ، وترى أيضا مصانع القطن الطبى وغيرها من العنابر الكبيرة العديدة التى تضم المطبعة والمبيضة والمصبغة وورش المعادن والاصلاحات وبناء المولدات الكهربائية التى تحرك بقواها هذه الألوف المؤلفة من الآلات ، وبين هؤلاء وهؤلاء شاهدنا أقساما للتطريز وللكيمياء الصناعية ولتحليل الخيوط وأجهزة مختلفة لاختبار قوة الشد ومتانة النسيج يشرف عليها لفيف من شباب البلد الذين تلقوا دراستهم الفنية فى الخارج .

ووقفت فى هذا الحقل الفسيح الملىء بالألوف العديدة من الآلات ، الزاخر بعشرات الألوف من الرجال والنساء ، أسائل نفسى : كيف قوينا على النهوض بهذا ، وماذا يكون حال البلد لو لم يقيض له من المغفور له طلعت باشا واخوانه من يخلق لنا هذه الصناعة التى سترت بوافر انتاجها ابداننا وسدت اذ انقطعت عنا الموارد نقصا ما كان أكبره لولا قيامها بيننا وفيما أنا غارق فى تفكيرى اذا بيد تربت على كتفى حتى اذا التفت الى صاحبها رأيتنى أمام ذلك المدير العامل الذى يدبر بعقله أمور تلك المدينة الكبيرة يراقب سير العمل فيها ويشرف على توزيع انتاجها .

مع مدير الشركة :

وصحبنا سعادة عبد الرحمن بك حماده الى مكتبه ، وفى هذا الجو الصاخب بجلبة الالات ، الداوى بضجيج العدد والماكينات جلسنا الى ذلك المهندس القدير الذى يرجع اليه أكبر الفضل فيما بلغت هذه الصناعة من رقى ونهوض .

استهل المدير النشيط حديثه بسؤالى عما أرى فيما شاهدت ، قلت العجب العجاب ، لقد زرت هذا المصنع مرة فى عام ١٩٣٢ وانى لألمس الفارق بل والتغير الكبير الذى طرأ على كل ما فيه ، قال نعم ، لقد تغيرنا ، ونحن كل يوم نسير من نصر الى نصر جديد ، وصمت المدير قليلا ثم تابع قوله ، لقد كان رأس مال الشركة عند تأسيسها ثلاثمائة ألف جنيه ورأس مالها اليوم خلاف الاحتياطى والسندات المستغلة مليون كامل ، وكان عدد عمالنا ثلاثة آلاف وخمسمائة عامل وهم اليوم يتجاوزون الثلاثين ألفا .

وليس أدل على ما بلغته الشركة من تقدم من أن سعر السهم وقيمته الأسمية أربعة جنيهات بلغ الآن نحو الـ ١٩ جنيها وأن المصنع الذى كان معدا فى بدء تكوينه لغزل ونسج القطن يضم اليوم مصانع مختلفة للصوف والكتان والحبال الرفيعة والقطن الطبى .

قلنا : لقد أثبت النجاح الذى بلغته الشركة كذب ما كان يقال من أن إقامة الصناعة بمصر أمر مستحيل .

قال : ليست إقامة الصناعة بالبلد أمرا مستحيلا ولكن نجاحها أيضا يتطلب جهودا غير يسيرة ، فلقد صادفتنا صعوبات كادت تقضى على المشروع فى مهده لولا صبر الشركة وثباتها وجهودها لتخفيض نفقات انتاجها ، ثم تعضيد الامة وإقبالها على منتجاتها التى عرفت بحق مزاياها ، هذا الى تلك الخدمات الجليلة التى بذلتها حكومات مصر المتعاقبة لحماية الصناعة المحلية . وصمت المدير الفاضل قليلا ثم عاد يقول :

لقد كان أخطر ما واجهنا فى مستهل حياة الشركة منافسة اليابان التى كانت تغرق السوق بضائعها متعمدة قتل الصناعة المحلية فيها ليخلو لها ميدان التعامل ، فما إن ظهر انتاجنا حتى رأيناها تخفض سعر منسوجاتها الى أقل من النصف ، وحسبك أن تعلم أن مقطع القماش اليابانى كان الى ما قبل إنشاء الشركة عام ١٩٣١ يصل السويس بسعر ١٢ شلنا ، فلما أنشئت الشركة عمدت اليابان الى خفض سعره الى خمسة شلنات وهو اجراء معروف عند المشتغلين بالتجارة Underselling فاذا أضفنا الى ذلك فرق العملة الذى هو فى صالح اليابان وجدت أن الخطر كان داهما لولا غيرة حكومات مصر الرشيدة التى فرضت على البضاعة

اليابانية فى عام ١٩٣٥ رسوما إضافية قدرها ٤٠ ٪ هذا الى زيادة الرسوم الجمركية عام ١٩٣٨ كما أننا تعرضنا الى خطر منافسة البضائع الايطالية الى ما قبيل الحرب القائمة .

قلنا : وما سر رخص البضاعة الأجنبية حتى تنافس بسهولة بضاعتنا المحلية قال : ليس رخص البضاعة الأجنبية إلا ظاهريا إذ أنها فى الحقيقة أغلى بكثير من منتجاتنا إذا قيست بالجودة والمتانة ، فالقطن المصرى الذى هو قوام صناعتنا أجود وأغلى ، والنسيج المصرى أمتن وأدق ، ويكفى أن تعلم أن الثوب من إنتاجنا يضارع فى المتانة ثلاثة أثواب من غيره وقد أثبتنا ذلك بتجارب عديدة عملناها بحضور كبار الزائرين كما أن التحليل أثبت تفكك الأنسجة الأجنبية وكثرة النشا الذى يبلغ فى بعضها ٣٥ ٪ من مادتها .

وإذ سألنا عزته عن مدى كفاية الإنتاج المحلى من الغزل والنسيج لحالة البلد قال : إن إنتاج الشركة من الغزل القطنى يكفى باضافته الى إنتاج شركة الغزل الأهلية بالاسكندرية كل حاجة البلد ويفيض ، كذلك الحال فى إنتاج المنسوجات القطنية . وقد أخرجت مصانع الشركة فى العام الماضى ١٥ مليون كيلوجرام من الغزل وستة وسبعين مليون ياردة من النسيج استهلك فى صنعها ما يقرب من أربعمائة ألف قنطار أما الصوف فقد أخرجنا منه مليون ومائة ألف رطل من الغزل وما يربو على مليون ومائتى ألف متر من النسيج .

وقد أجابنا حين سألناه عن مدى تأثير الحرب القائمة فى حالة الصناعة قائلا :

لقد سد وجود الشركة وغيرها من مصانع النسيج نقصا كان يهددنا بالعراء فى مثل هذه الآونة ، وتفادى الشعب بوجودها غلاء ما كان ليتحمله وسواده فقير ، وحسبنا أن نذكر أن ثمن ثوب الدبولان قد ارتفع فى الحرب الماضية من ثمانية وخمسين قرشا الى ثلاثة جنيهات ونصف . أما اليوم فالارتفاع يسير طفيف ، وهو راجع للصعوبات التى نعمل جاهدين على تذليلها ، فلقد صادفتنا متاعب كثيرة بسبب غلاء الخامات وقطع التغيير وصعوبة النقل بالسكة الحديد التى استعضنا عنها بسياراتنا ، ومشكلة الأيدى العاملة بسبب انصراف الكثيرين للعمل فى الجهات الأخرى كالقاهرة وخاصة من كان من أبنائها ، ثم مشكلة الوقود التى حللناها بالاستعاضة عن الفحم بالمازوت ثم صعوبة التوزيع بسبب جشع بعض النجار وعمالهم على تخزين بضاعتهم . وقد وفقنا والحمد لله الى حل كل هذه المشكلات وخرجنا رابحين بفضله تعالى : الأول وهو الأهم هو القيام بالواجب الوطنى فى تيسير الكساء للشعب وخاصة الفقير الذى أوليناه أكبر عناية ، والثانى هو فائدة المساهم الذى سار ربحه فى صعود مستمر فمن ٢ فى المائة من قيمة السهم صرفناها فى عام ١٩٣٩ ارتفع الربح الى ٢٠ فى المائة ، هذا الى ما وفقنا اليه من تقوية مركزنا المالى بانقاص الأصول الثابتة وتسديد رصيد البنك وزيادة الاحتياطى .

وإذ ألمعنا له عما نرجوه من تحسين حالة العمال الاجتماعية قال " لقد نفذت الشركة في عام ١٩٣٥ نظام التأمين للعمال لدى شركة مصر للتأمين، كما وقفت رصيد الجزاءات على مصلحتهم وضاعفت لهم علاوة غلاء المعيشة . أما منهاجنا لرفع شأن العمال فكبير واسع النطاق، فلدينا مشروع بناء مستشفى للأمراض الصدرية، ومشروع التأمين العلاجي و إنامة وحدة صحية كاملة بالمدينة ، ومشروع إمداد العامل بالغذاء الرخيص ، هذا الى ما قمنا به من الاشتراك مع الحكومة في حل مشكلة مساكن العمال بإنامة قرية العمال والمهاجرين التي تكلفت ربع مليون من الجنيهات والتي يمكنك زيارتها في ظاهر المدينة .

واختتم حماده بك حديثه قائلا : لقد بلغت مرتبات عمال الشركة وموظفيها في العام الماضي سبعمائة ألف جنيه وهو مبلغ كان مفروضا أن يخرج من البلد كلها الى جيب العامل الأجنبي لولا وجود هذه المؤسسة التي لا نشك في ان الأمة بأسرها حكومة وشعبا تغار على نجاحها وتعمل جاهدة لتعضيدها .

قرية المهاجرين ومشكلة مساكن العمال بالمحلة :

تعتبر مشكلة المساكن بالمحلة أعقد المشكلات وأجدرها بالعناية . وقد وفقت الشركة في إعداء حل وإن كنا لا نراه حاسما ولا كافيا إلا أنه يخفف البلوى إلى حد يذكر . فهناك في ظاهر المدينة وعلى مسيرة ثلث ساعة من مصانع الشركة يرى الزائر مجموعة من المساكن الحديثة يدهشه كبرها وسعة رقعتها ، تلك هي قرية المهاجرين التي أعدت بنظام يكفل استخدامها لسكنى العمال فيما بعد الحرب القائمة . وتفصيل ذلك أنه عندما اشتدت الغارات الجوية على المدن الساحلية رأت وزارة الوقاية ضرورة إقامة قرية للمهاجرين في مدينة داخلية تكون في مأمن من أهداف المغيرين ، وقد وقع اختيارها على المحلة الكبرى . وانتهزت شركة مصر هذه الفرصة فاتصلت بأولى الأمر واتفقت على أن تشترك معها في نصف تكاليف هذه القرية لقاء تركها لعمال الشركة بعد الحرب .

وتقوم قرية المهاجرين أو مدينة العمال على مساحة قدرها سبعة وستون فدانا، وهي مبنية بالطوب الأحمر ومسقوفة بالخرسانة ومطلية من داخلها وخارجها ، وتنقسم إلى قسمين: الأول مخصص للعزاب من العمال ويتسع لألف ومائة عامل وعاملة لكل من الفريقين مكان منفصل كما أعدت للمتزوجين ٤٢٤ بيتا في مجموعات "باوكات" تشتمل كل مجموعة على عشرين منها، ويفصل كل مجموعة عن الأخرى شارع عرضه اثنا عشر مترا وبيوت المتزوجين في سعتين فمنها الكبير الذي يحتوي على ثلاث حجرات ومنها ذو الحجرتين. وبيوت القرية كلها مقامة على وضع صحي في طراز حديث وهي مزودة بالماء الجاري ولكل بيت حوش لتربية الدواجن ومكان للموقد (الفرن) .

ويشق القرية طولا وعرضا شارعان رئيسيان عرض الأول ستون مترا والثانى خمسة وثلاثون. وبسبب عدم وجود مجارعامة بالمحلة فقد أعدت بالقرية خزانات للتحليل وبيارات تكفل تصريف المواد فى الرمال .

وقد بدئ فى بناء هذه القرية فى نوفمبر علم ١٩٤١ وتم بهـا العمل الآن وسلمت المبانى لوزارة الوقاية. على أن المشروع لا زالت تنقصه المرافق العامة اذ يشمل التصميم مسجدا ومدرسة وناديا وملعبا كبيرا وستة ملاعب صغيرة وثلاثة أسواق يقوم كل منهـا على ستة حوانيت .

أوجه النقص فى حالة البلد الاجتماعية وسبل إصلاحها :

ليس ثمة من شك فى أن المحلة الكبرى قد تغيرت كثيرا باقامة مصانع شركة مصر بها. واذا كان وضعها القديم مقبولا أيام ان كانت قاصرة على بنيها فلا ريب أنها بعد اضافة هذا الجيش العرمرم بأهله وذويه الى سكانها أصبح الأمر محتاجا الى تفكير وتدبير لأمر معيشته من مسكن وما كل ومرافق حياة . ونحن لا نحمل الحكومة وحدها عبء علاج هذه الحال و إنما نشرك الشركة كذلك فى هذه المسئولية الكبيرة .

لقد عالجت الشركة مشكلة السكن ووجدت فى هـذا معونة كبيرة من الحكومة التى تحملت نصف تكاليف أبنية ستشغل كلها بعمال الشركة، ولكن إنشاء قرية العمال ليس فى رأينا غير حل مخفف، ذلك بأنها لا تتسع كما أسلفنا لأكثر من ألف وستمائة عامل، وهو عدد لا يتجاوز جزءا من خمسة عشر جزءا من عمال الشركة، ونحن نرجو أن تكون هذه المبانى باكورة أعمال تالية لحل مشكلة السكن.

ثم إننا وقفنا على أن الحكومة قد رأت إيواء المشردين من الأطفال فى هـذه المستعمرة ونحن و إن كنا نعذر للحكومة تصرفها بسبب عدم وجود المساكن الخالية اليوم لإيواء هؤلاء المشردين فإننا نرجو أن يكون أجراؤها هذا وقتيا الى أقصى مدى بسبب ما يعانيه عمال المحلة من متاعب وأضرار نظرا لضيق المساكن هناك .

والنقص الثانى الذى لمسناه بالمحلة الكبرى هو ضيق حواريها وسوء تنظيمها، فالبلد عميق وقد أهمل أمره إهمـالا كبيرا ، ولسنا ندرى ما اذا كانت موارد البلدية هناك تسمح بشق الشوارع الجديدة، وعلى كل حال يمكن تحقيق ذلك بنزع ملكية مساحة مضاعفة للطاوبة وتعويض النفقات ببيع ما يتخلف على جانبى الطريق الجديد بأثمـان عالية . و إهمال تنظيم الشوارع فيه أبلغ الضرر على صحة الأهلين وكلهم من العمال الذين يحتاجون الى المسكن الصحى، هذا الى أن المحلة بأسرها ليس فيها غير شارع واحد كبير هو "شارع محب" المطل على الترعة

وبلد كبير كهذا يجب أن يكون بحال أرقى مما شاهدنا وأن تعمل له خارطة جديدة لتقام المبانى المستحدثة على أساسها . والنقص الثالث هو اهمال أسباب الصحة من مستشفيات ومنتزهات. ونحن لو عود شركة مصر بانشاء مصحة للأمراض الصدرية ووحدة صحية لمنتظرون. أما المتنزهات فواجب على البلدية المسارعة باعدادها وخاصة أنها لن تكلفها كثيرا وسيفيد منها العمال الذين يقضون يومهم فى جو خانق ملىء بالرطوبة والغبار .

ثم هناك مسألة العناية بتثقيف العمال بانشاء أندية لهم ومبرات لأولادهم والعمل على ازالة اميتهم وانشاء أحواض للسباحة لهم وخاصة أننا شاهدنا الكثيرين يستحمون فى ترعة البلد .

والنقص الرابع هو مسألة المجارى العامة التى نعجب كيف لا توجد فى بلد كبير كالمحلة الكبرى والمجارى من أهم مرافق الصحة فى البلاد .

وأخيرا لا نرى مندوحة من ن نوجه أنظار أولى الأمر الى ما تقاسيه طبقة كبيرة من أهالى المحلة وهى طبقة أصحاب الأنوال اليدوية ، فتلك المصانع الصغيرة يقوم أغلبها فى البيوت فى أقبية وحجرات مظلمة لا تدخلها الشمس ولا يتخللها الهواء ، يعمل فى هذا الوضع آلاف من الخلق يشتغلون فى نسج القماش الشعبى المعروف بالغزلى ويتعاون أهل البيت مع ربه فى العمل ، فالزوجة والبنات يشتغلن بفك الخيوط على عجلات من الغاب والرجل وأولاده يعملون بالنول ، وهم على تكاتفهم وجهادهم الدائب لا يكادون يحصلون على القوت بسبب منافسة الأنوال الميكانيكية لهم ، وعندنا أن هناك لتحسين حالهم أسبابا :

(الأول) تنظيم الشوارع كما أسلفنا لتيسير دخول الشمس والهواء الى مصانعهم المنزلية .

(الثانى) انشاء مطاعم شعبية فى مناطقهم ومبرات لأولادهم .

(الثالث) ارشادهم وتزويدهم بالأنوال الحديثة كما كانت تفعل وزارة التجارة مع خريجى المدارس الصناعية .

(الرابع) اقامة صنابير مجانية لمدهم بماء الشرب النقى وخاصة أننا لاحظنا أن أكثرهم يعمد الى الترعة للحصول على الماء .

(الخامس) تسهيل تصريف منتجاتهم باعفائها من الضرائب وتخفيض أجور نقلها بالسكة الحديد ، فاذا عنينا بما تقدم أمكننا أن ننهض بأمر الطبقة العاملة فى بلد يعتبر بحق أكبر بلد صناعى فى القطر ومورده الرئيسى فى كل ما يفتقر اليه من غزل ونسيج .

محمد عبد الكريم

واجب التاجر المسلم

للأستاذ فكرى يس
المدرس بكلية الشريعة بالجامع الأزهر

يجتاز العالم اليوم ، مرحلة رهيبة ، و يغالب ظروفا عصيبة ، و يعانى أزمة طاحنة ، من جراء تلك الحرب الضروس ، التى تدور رحاها الآن ، فى كثير من بقاع الأرض .

و إذا كانت كل طائفة من طوائف الناس تلزمها تبعات ، وتقع عليها مسئوليات ، بسبب هذه الحالة الطارئة ، الجديرة بتعاون الأيدى ، وتساند القوى ، فإن ما يقع على كواهل التجار من ذلك ، وما يتوجه إليهم وحدهم ، أعظم وأخطر ، لأنهم إن راعوا العدالة فى معاملاتهم ، ودأبوا على الإحسان فى تصرفاتهم ، والتزموا وصايا الإسلام فى نظام تجارتهم ، رفهوا كثيرا عن إخوانهم فى الإنسانية ، وهونوا عليهم كثيرا من متاعب الحرب وآلامها .

ولقد نهى الإسلام التاجر المسلم عن مآثم كثيرة ، وقبح ارتكابها ، وذم مرتكبها ، وتوعده عليها بالخسران فى الدنيا ، والعذاب فى الآخرة ، وأمره كذلك بأوامر كثيرة ، ومدح فعلها ، وأثنى على فاعلها ، وبشره بالربح الجزيل ، والنعيم المقيم .

ولا شك فى أنه من أوجب الواجبات على التاجر المسلم أن ينفذ تعاليم الإسلام ، ويتحلى بآدابه ، وأن يفعل ما أمره به ، ويترك ما نهاه عنه ، فإنه إن أخذ نفسه بذلك وثابر عليه ، سعد بتجارته فى الدنيا والعقبى ، أكثر مما يسعد بها المستهلكون .

١ — الاحتكار وما فى معناه :

نهى الإسلام عن احتكار الأطعمة والأقوات ، وخزن السلع والبضائع ، وعن ادخارها و إخفائها عن نظر الجمهور ، انتظارا لغلاء الأسعار ، وارتفاع الأثمان ، وطمعا فى الحصول على الربح الوفير ، والكسب الكثير .

وقد ذم الإسلام صاحب هذا الفعل ، وعده منه ظلما فى المعاملة ، وانحرافا عن المنهج الدينى الصحيح ، وورد فى السنة كثير من الآثار التى تصلح أن تكون أصلا لإطلاق النهى باطراد ، فى جميع أجناس الأقوات وما يعين عليها ، وفى غيرها من الحاجيات الأخرى ، المتعلقة بمصالح العباد ، ما دام فيها شىء من عين الضرر ، أو من مبادئه .

فمن ذلك ما روى : "أن من احتكر الطعام أربعين يوما ثم تصدق به ، لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره" ، ومنه أن "من احتكر الطعام أربعين يوما ، فقد برئ من الله و برئ الله منه" ، وقيل : "فكأنما قتل الناس جميعا" ، وروى عن على رضى الله عنه ، "أنه أحرق طعاما محتكرا

بالنار"، ومما يؤثر عن بعض السلف الصالح، "أنه جهز سفينة حنطة إلى البصرة، وكتب الى وكيله فيها أن يبيعها يوم تدخل، وألا يؤخرها إلى غد، فوافق دخول السفينة اضطرابا فى السعر، فقال التجار للوكيل لو أخرت البيع أسبوعا لربحت أضعاف ما تربح الآن، فأخره أسبوعا فربح فيه أضعافه، وكتب إلى صاحبه بذلك، فكتب إليه صاحب الحنطة: ياهذا، إنا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا، وإنك قد خالفت، وما نحب أن تربح أضعافه بذهاب شيء من الدين، فقد جنيت علينا جناية، فإذا أتاك كتابى هذا، فخذ المال كله، فتصدق به على فقراء البصرة، وليكفى بعد ذلك أنجو من إثم الاحتكار".

فانظر أيها التاجر المسلم إلى ما يتجلى فى كتاب صاحب الحنطة من خلق كريم، ودين قويم، وجود عظيم، وإلى ما يفيض به قلبه المؤمن من تقوى الله، وخشية عقابه، وعطف على عباده، واذكر أن صنيعه هذا، كان فى أيام رخاء وسلم، لا فى زمان شدة وحرب، ثم خذ لنفسك بعد ذلك من فعله الجميل، وتدينه الصادق أسوة حسنة، وقدوة صالحة.

٢ — الدعاية والترويج :

يعمد بعض التجار إلى الإعلان عن بضائعهم بوسائل شتى من وسائل التعريف والاشتهار، ولكنهم يدخلون فى ذلك شيئا من الدعاية الكاذبة، والترويج للسلع بما ليس فيها، ووصفها والثناء عليها بغير حقيقتها، فهذا أيضا مما نهى عنه الإسلام، وحذر منه، واعتبره كذبا وإسقاط مروءة من البائع، وتلبيسا على المشترى وتغريرا به وظلما له فى المعاملة، والواجب على التاجر المسلم أن يقتصر فى وصف السلعة على ما فيها، مما لا يعرفه المشترى مالم يذكره له، من غير مبالغة ولا إطناب، وأن يكون قصده من ذلك تبيين الحقيقة لأخيه المسلم، حتى يرغب فى الشراء وتنقضى بسببه حاجته، كما أن الواجب عليه أيضا، أن يظهر جميع عيوب المبيع، وألا يكتم منها شيئا، لأنه إن لم يفعل ذلك، كان غاشا والغش حرام، وكان تاركا للنصح فى المعاملة، والنصح واجب، روى "أن النبى صلى الله عليه وسلم مر برجل يبيع طعاما فأعجبه، فأدخل يده فيه فرأى بللا، فقال: ما هذا؟ قال: أصابته السماء، — المطر — فقال: فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس، من غشنا فليس منا".

وروى أنه صلى الله عليه وسلم بايع رجلا على الإسلام، فلما ذهب الرجل لينصرف جذب النبى ثوبه، واشترط عليه النصح لكل مسلم، فكان هذا الرجل إذا قام إلى السلعة يبيعها، يبصر بعيوبها وخير المشترى، وقال له: إن شئت فخذ، وإن شئت فاترك، فقيل له: إنك إذا فعلت مثل هذا لم ينفذ لك بيع، فقال: إنا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم.

على أنه يجدر بالتاجر المسلم أن يذكر دائما أن إخفاء العيوب وسترها عن المشترى، لا يفيده شيئا ولا يزيد فى رزقه شيئا، بل ربما يمحقه ويذهب بركته، وأن ما يجمعه من طريق

الغش والتمويه قد يهلكه الله دفعة واحدة ، ... ... يحكى أن رجلا كانت له بقرة ، يحلبها ويخلط بلبنها الماء ، ثم يبيعه للناس ، فجاء سيل وأغرق البقرة ، فقال له أحد أولاده : يظهر أن تلك المياه المتفرقة ، التى كان خلط اللبن بها ، تجمعت كلها دفعة واحدة ، وتكونت سيلا ، ثم أغرقت البقرة ! ! .

٣ — الأمانة فى المعاملة :

كما نهى الله تعالى التاجر عن تلك المناهى المتقدمة ، أمره كذلك بعدة أمور دعاه إلى تحصيلها والأخذ بها فى تجارته ، ومن أول هذه الأمور ، الأمانة فى المعاملة ، فهى فى الواقع رأس مال التاجر ، وسر نجاحه ، وعماد الثقة به ، وعنوان كمال دينه ، وقوة خلقه ، وطهارة ذمته ، وهى تتمثل فى كثير من تصرفات التاجر وأعماله :

تتمثل فى مقدار ضبطه ودقته فى المعايير التى يقدر بها المبيعات ، من مكيال وميزان وذراع وغيرها ، فإنه يجب أن يكون التاجر على أتم الحيطة والنصفة فيها ، بحيث لا يفوته شىء من تعديل الكيل والوزن والذرع ، وإلا فهو داخل تحت عموم قوله تعالى : (ويل للمطففين ، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) .

ولقد اعتبر من المطففين من خلط بالطعام ترابا أو غيره ثم كاله ، ومن وزن مع اللحم عظما لم تجر العادة بمثله ، ومن إذا اشترى قماشا أرسله فى وقت الذرع ولم يمده مدا ، وإذا باعه مده فى الذرع ليظهر تفاوتا فى القدر ، وكان بعض السلف ، إذا أخذ نقص نصف حبة ، وإذا أعطى زاد حبة ، حتى لا يقع فى شىء من التطفيف المعرض صاحبه للويل ، المذكور فى الآية الكريمة.

وتتمثل أمانة التاجر أيضا فى صدقه فى بيان سعر الوقت ، وذكره على التحديد ، وعدم إخفاء شىء منه ، والابتعاد عن كل تلبيس وتغرير يؤدى إلى زيادة شىء على الثمن الملائم للسلعة ، ... ... يروى أنه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الأثمان ، قيمة بعضها أربعمائة وقيمة البعض الآخر مائتان ، فذهب مرة إلى الصلاة ، وخلف ابن أخيه فى الدكان ، فجاء أعرابى وطلب حلة بأربعمائة ، فعرض عليه من حلل المائتين ، فاستحسنها ورضيها فاشتراها ، فمشى بها وهى على يديه ، فلقيه يونس وهو عائد من الصلاة ، فعرف حلته ، فقال للأعرابى : بكم اشتريت هذه ؟ ، فقال : بأربعمائة ، فقال : إنها لا تساوى أكثر من مائتين ، فارجع حتى تردها ، فقال : هذه تساوى فى بلدنا خمسمائة ، وأنا ارتضيتها ، فقال له يونس : ارجع ، فإن النصح فى الدين خير من الدنيا بما فيها ، ثم رده إلى الدكان ، ورد عليه مائتى درهم ، وخاصم ابن أخيه ، وزجره على فعله .

٤ — القناعة فى الربح :

حقيق بالتاجر المسلم ألا يجعل هدفه فى التجارة ، اقتناص الأموال من أى سبيل ، والوصول إلى الثراء بأية وسيلة ، وتصريف بضاعته بما فيه إرهاق الجماهير ، والغلو فى الأرباح ،

بل يجب أن يكون عدلا فى معاملاته ، منصفا فى أثمانه ، قانعا بالمعقول من الربح ، راضيا بالمقسوم له من الرزق ، فإن من قنع بالربح القليل أقبل عليه الناس ، وكثر معاملوه ، فيجنى من تكرر ذلك وتداوله ربحا كثيرا ، . . . كان على رضى الله عنه ، يطوف فى سوق الكوفة بالدرة ويقول : معاشر التجار ، خذوا الحق واعطوا الحق تسلموا ، لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره ، وسئل عبدالرحمن بن عوف عن أسباب يساره ، فذكر منها أنه ما رد ربحا قط .

الشفقة على الفقراء :

هناك خصلة أخرى من خصال التاجر المسلم المتدين ، وهى تدل فى جوهرها على نبالة نفسه ، ورقى انسانيته ، وكمال حاسيته ، وسمو ضميره ، ويقظة شعوره ، وتغلغل العاطفة الدينية فى حنايا قلبه ، — تلك الخصلة ، هى الشفقة على الفقراء والبر بهم ، والرقة لهم ، فلا بأس على التاجر أن ينزل لهم عن شىء من الثمن ، وأن يبيع لهم بأقل مما يبيع به للاغنياء ، ولا بأس عليه أن يعاملهم بالإمهال والتأخير مرة ، وبالتجاوز والإعفاء مرة أخرى ، . . . ومن المرويات أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا كان مسرفا على نفسه ، حوسب فلم يوجد له حسنة ، فقيل له : أما عملت خيرا قط ؟ ، فقال : لا ، إلا أنى كنت رجلا أدين الناس فآمر لفتيانى : سامحوا الموسر ، وتجاوزوا عن المعسر ، فقال الله تعالى : نحن أحق بذلك منك فتجاوز الله عنه ، وغفر له .

وكان تجار السلف رضوان الله عليهم ، يتظاهرون بالبيع نسيئة إلى الفقراء وذوى الحاجة ، وهم معترمون ألا يأخذوا من الثمن شيئا ، مساعدة لهم على التعفف ، وإيثارا للصدقة الخفية وابتغاء للبر المستور .

* * *

هذه بعض وصايا الإسلام الحكيمة ، التى وصى بها التاجر المسلم ، نعرضها على أنظار حضرات التجار الأفاضل ، رجاء أن ينتفعوا بها ، وأن يسيروا على سننها ، فإن التجارة محك الرجال ، وبها يمتحن دين التاجر ، وتعرف نزاهته ، ويعلم مدى صلاحه وورعه .

وقديما قالوا : إذا أثنى على الرجل جيرانه فى الحضر ، ورفاقه فى السفر ، ومعاملوه فى الأسواق ، فلا تشكوا فى صلاحه .

وشهد عند عمر رضى الله عنه شاهد ، فقال له : ائتنى بمن يعرفك ، فأتاه برجل فأثنى عليه خيرا ، فقال له عمر : أأنت جاره الأدنى الذى يعرف مدخله ومخرجه ؟ قال : لا ، فقال : أكنت رفيقه فى السفر الذى يستدل به على مكارم الأخلاق ؟ فقال : لا ، فقال : هل عاملته بالدينار والدرهم الذى يستبين به ورع الرجل ؟ قال : لا ، فقال : أظنك رأيته قائما فى المسجد يهمهم بالقرآن ، يخفض رأسه طورا ويرفعه أخرى ؟ قال : نعم ، فقال : اذهب فلست تعرفه ، وقال للرجل : اذهب فائتنى بمن يعرفك .

فكرى يسين

الحج ركن من أركان الاسلام
والدعامة الكبرى فى صرح الاجتماع
للأستاذ مصطفى الصاوى

لعل من أوضح الدلائل على أن الاسلام ، عنى أول ما عنى بوضع نظام الحياة البشرية على حال، يمكنها من قطع مراحل الحياة فى طمأنينة واستقرار، أن جعل أركانه الأولى خمسة ومن بينها الحج :

ولعل من أكبر البراهين على أنه عنى بالناحية الاجتماعية عناية تامة ذلك التشريع الحكيم الذى كانت إحدى دعائمه فريضة الحج . ثم لعل من أقوى الدلائل على أنه تشريع حكيم، وسياسة رشيدة ذلك الترتيب الذى نظمت على غراره مناسك الحج ومشاعره . ففى أركانه وفرائضه ومسنوناته من النظم الارشادية للجماعة الانسانية مالو اتبعتها لسعدت فى الحياتين ولسار ركبها فى بيداء الحياة الوعرة المسالك آمنا مطمئنا متئد الخطى موفور الأمن والسلام.

ولعل من أعظم الحجج على أنه التنزيل الربانى والوحى السماوى ان جعل كل اتجاهاته وأهدافه الى الروح وتهذيبها أولا ثم ألى تنظيم الحياة البشرية ثانيا . وذلك خير ما يدعو اليه المصلح الاجتماعى . فاذا ما هذبت الروح استعدت للتوجيه وقبول الإرشاد . فلا عجب اذا كانت رسالة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم من ذلك اللون وهذا الطراز ، ولا غرابة اذا كانت مثمرة ناجحة قد وفقت التوفيق كله . وهل هناك طبيب للاجتماع وطب للاجتماع خير مما أنزله خالق الاجتماع على طبيب الاجتماع .

يجدر بى وأنا أتحدث عن فريضة الحج أن آتى على إلمامة موجزة من حياة ذلك الدين تبين لنا الغرض الذى كان يهدف اليه ، والغاية التى يرمى اليها ، والوسائل التى اتخذها ذلك المصلح الاجتماعى الأعظم حتى بلغ رسالة ربه و جمع شوارد النفوس وجوامح الأفئدة على مبدأ واحد . وحتى كونن منهم أمة وصفها القرآن بأنها (خير أمة أخرجت للناس) .

جاء ذلك النبى بذلك الدين على فترة من الرسل قد استحكم فيها الخلاف بين البشرية الجامحة. فاستحالت من نظام دينى سماوى وضع أسسه الأنبياء المرسلون السابقون الى فوضى شاملة وانحلال خلق وتغلب للذاتية على ما يجب نحو الجماعة فاستشرت الأثرة واستأسد الشر، حيث كانت حروب مشتعلة، ونهب للاموال، وسفك للدماء، وذلك الى جانب مبدأ الاستباحة الغشوم الذى يفرض القوة على الضعف ، وفى ظلال ذلك المبدأ انتهكت الحرمات فحرمت

المرأة من حظها من الحياة وسلب اليتيم ماله وقتل الولد خشية الإملاق، ووئدت البنت خوف العار، الى غير ذلك من تلك الأمور التى هى كفيلة أن تمحق دولا وتبيد ممالك وتذر الأمم حديث الأمس وأقصوصة التاريخ .

فى ذلك الجو الملتهب وهـذا الوسط المكهرب المكفهر ظهر ذلك المصلح الاجتماعى الأول محمد بن عبد الله فاتجه الى إصلاح المجتمع بالحكمة والموعظة الحسنة ، وما زال بالناس يبلغهم رسالة ربه ، وينشر لواء السلامة والسلام بينهم ، تدريجيا باخلاص وحرص على أن يحيوا حياة السعادة ، ويكونوا مثلا عليا وهم يقابلون ذلك بالإيذاء والصد والتحدى حتى رتب حياتهم بعد أن رقق منهم المشاعر وأرهف الأحاسيس وعلمهم الصدق والوفاء والأمانة واحتمال الأذى والصبر على المكاره، فكون منهم دولة فتية قوية ذات ملك عضود وذكر شرود تجتمع على كلمة التوحيد وتستقبل قبلة واحدة وتصدر فى شؤنها الدنيوية والأخروية عن الدين وترد فى كل رغائبها موارد هذا الدين فحسن حالهم وعزوا بعد ذل وأيسروا بعد الفاقة المستحكمة وانصرفوا عن حروب تأكل الأخضر واليابس الى سلم مهد لهم السعى فى الحياة لتوطيد السكينة وإقرار الهناء والسلام، واطمأنوا الى ذلك الدستور الجديد الذى سوى بين الناس جميعا حيث جعل من فقراته (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) و (لا فضل لعربى على عجمى ألا بالتقوى) وأصبح الناس فى دين الله إخوانا ، نادمين على مافرطوا فى جاهليتهم فرحين بما أوتوا من هداية وخير، مؤملين غفران ما مضى، طامعين فى المثوبة على ما يأتى :

كانت تشريعات هذا الدين كلها تهدف إلى تكوين الأفراد أولا، ثم إلى تنظيم الجماعات ثانيا ، ثم إلى توطيد الدولة ثالثا ، وتلك خير السبل للاصلاح الاجتماعى المراد .

وإذا كنا بصدد الحديث عن الحج وبيان أنه ركن من أركان الدين أولا، وأنه الدعامة الكبرى فى صرح الاجتماع ثانيا ، فأحق بنا أن نتحدث عنه من ناحيتين :

الناحية الأولى — الحديث عن الحج باعتباره صلة بين العبد وربه . وقربة يتقرب بها اليه .

الناحية الثانية — الحديث عن الحج باعتباره دعامة قوية فى صرح الاجتماع، ووسيلة من وسائل إصلاح المجتمع البشرى العام، وإذا كان العبد مسئولا عن إحسان الصلة بربه، وكان فى شديد الحاجة لأن يبتعد عما يغضبه ، ويتقرب من مرضاته ، كان لابد لنا من النظر فى الحج ، وبيان الخطوات المقربة الى الله ، المباعدة عن النار والعذاب .

فالخطوات التى يحتويها الحج هى ما يأتى :

(أولا) أن التصديق به ركن من أركان الدين ، وتحقيق ذلك بالامتثال المصمم المحقق بالإحرام به خطوة أولى فى طريق النجاة وسبيل الى الجنة .

(ثانيا) ذلك السفر الطويل الشاق، وما يقتضيه من إنفاق للأموال، وهجران للأوطان، الخطوة الثانية الى الجنة .

(ثالثا) ذلك الطواف حول مبنى من المبانى بعقيدة ثابتة يمتلىء قلب الطائف إجلالا لرب البيت وعياذ بالدموع هتانة بالأسف والاشفاق من الله ، الخطوة الثالثة .

(رابعا) قهر النفس والزامها ترك عادة متبعة بالتجرد عن المحيط والمخيط وما كان المحرم ليتركها اولا أنها أساس قبول الحج وصحته، خطوة رابعة فيها يتساوى السيد والمسود والخادم والمخدوم .

(خامسا) قهر النفس بالهرولة فى السعى بين جبلى الصفا والمروة، وفى ذلك من نسيان الوقار وترك الذاتية الشخصية والتنازل عن كثير من عزة النفس بقلب راض راضخ، خطوة خامسة.

(سادسا) ذلك الوقوف بعرفات ذلك الجبل المبسوط المسطح وفيه من الشقاء والألم بتحديد الزمن وغيره ، خطوة سادسة .

(سابعا) تلك الحصى والجمرات يجمعها و يقذف بها فى مكان مخصوص كواجب من واجبات الحج سابع الخطوات . خطوات كلها أيها السادة فيها من المشقات والأتعاب الشىء الكثير، وهى موصلات الى رضاء الله تعالى وغفرانه قد جعل جزاءها الجنة وتكفير الذنوب فقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) .

هذه هى الناحية العبادية فى الحج وكنى بها وسيلة الى تهذيب النفس و إعداد الشخص للكمال وتهيئته لمصير ينتظره حتما .

أمّا من الناحية الاجتماعية :

فإن التزام الانسان أمر الحج واعتزامه تأديته مع ما فيه من المشـقات لا تكون إلا عن ارادة قوية صادرة عن عقيدة ثابتة وما أحوج الاجتماع الى وجودها فى نفوس الأفراد و إن مجتمعا كانت أفراده أولى إرادة قوية صادرة عن عقيدة صادقة فهو خير اجتماع يبنى الدولة ويكون الأمة على الوضع الصحيح .

و إن الاحرام بالحج وتأدية أعمـاله بانتظام والسفر على برنامج محدد تكوين لذاتية الفرد وتصحيح لفكرته وعمله وذلك جل ما يهم المتصلح الاجتماعى .

و إن التجرد من المحيط والمخيط لتعويد للنفس أن تتجرد من عوائدها وأن تستعد لقبول الاصلاح مهما كلفها ذلك الاصلاح من ترك العادات واللازمات. و بيان للناس أن المساواة أمر لابد منه لسير الركب البشرى فى سبيل حياته ، فانك ترى جميع الحجاج قد تساووا فى الملبس والعمل لايفرق فارق بين سيد ومسود، ولا بين عظيم وحقير، وغنى وفقير، و إن فى الطواف والسعى لأسرارا بديعة . فالطواف يرمز الى الآداب العامة حيث يعلم المجاملة فلا يدخل على غيره دون أن يستأذنه و يسلم عليه كما أن الطواف استئذان رب البيت وتسليم عليه وهى تحية والتحايا على اختلاف المحيا فما أجمل هذا النظام .

إنا لو نظرنا الى الحكمة المتجلية فى الطواف لارتاحت نفوسنا الى ذلك التشريع فانها ترتفع بالأرواح الى القدسية التى يجب أن ترتفع اليها والتى لا بد لكمال النفوس البشرية منها. وإن فى امتثال الناس أفرادهم وجماعاتهم الأمر البعيد السر عن ادراك العقل رمز للطاعة الصحيحة والنظام الدقيق وإشارة للناس أن سيروا كاشارة أولى الأمر منكم فى نظام وإيمان (وهل تبنى الدول ، وتدعم الممالك إلا على النظام والطاعة) ؟

أيها الناس ، إن فى تشريعات الحج تقريرا لمبدأ الحرية والإخاء والمساواة قبل أن يخلق فى فرنسا مبدأ الحرية والإخاء والمساواة . وأن فى تشريعات الحج ومشاعره تقرير المبدأ الإذعان والطاعة والاخلاص والنظام قبل أن توجد الأمم التى دستورت نفسها على مبدأ الإذعان والطاعة والنظام، وإن فى تشريعات الحج توجيه النفس إلى نسيان الذات ونكران الشخصية والاندماج فى الجماعة والعمل لها قبل أن يعرف الناس شيئا يسمى الجندى المجهول فلذلك ساد هذا الدين العالم ، واستولى على المشرقين والمغربين لكن عن طريق العقيدة والاقناع ، لا من سبيل القوة والحسام .

إنا لو نظرنا أيها السادة إلى تلك الفريضة بعين باصرة لتجلت لنا العبر وواجهتنا الآيات البينات على أن المشرع كان يهدف أول ما يهدف إلى تصحيح الاجتماع وتنظيم الحياة على وضع صحيح و إقرار سليم ، فقد ربط بين الناس بوشائج الوداد وجعلهم متضامنين متعاونين إذ حدد أحكام الحج تحديدا من ضل عنه كان جزاؤه النزول طواعية واختيارا عن جزء من ماله لفقراء الحرم ومساكينه : أرأيتم تشريعا يعاقب المسىء من بنى الإنسان بالترفيه عن أخيه الانسان مثل هذا التشريع الحازم الحكيم : تشريع قد ربط الأواصر وجمع الناس على مائدة السلام ووطد العلائق فنعم هذا التشريع الحكيم .

فالإحرام بالحج معناه الشروع فى عمل جديد يقتضى المحرم عناية جديدة وتغيير أسلوب الحياة الأول، فلذا رمز إلى ذلك بالتجرد عن ألزم العادات وهى اللباس الذى هو زى الانسان ومظهر كرامته ومحل فخره وارتداء لباس جديد يناسب العمل الجديد . وإذا كان هذا واجبا على كل محرم فقد تحقق معنى المساواة ومبدأ ترك الفوارق بين الناس أجمعين . ثم هو رمز من ناحية أخرى إلى أن الانسان يجب عليه إذا شرع فى أمر ذى بال أن يترك غيره من الأعمال الأخرى ليتوافر عليه تماما . وفى ذلك أمر من طرف خفى بوجوب اتيان الأعمال التى تسند إلى الانسان (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) .

والطواف بالبيت العتيق رمز ظاهر إلى أن تكوين الدول والابقاء عليها إنما يكونان بتحديد الغرض والأهداف اليه كما تحدد البيت الحرام غرضا للطواف والقبلة يهدف إليه المسلمون جميعا ، وهذا معناه أنه يجب أن يكون للمسلمين جهة ثابتة يرجعون إليها إذا مادهمتهم الأحداث، وإن فى السعى بين الصفا والمروة أمر بالكد والكفاح فى طلب الرزق

والجهاد ونهياعن التواكل والاستسلام . وهذا معناه أن الحياة بلاعمل موت . وأن التقاعد عن الأعمال مهلكة أى مهلكة : وليس أمر جمع الحصى ورميها على الوضع المعروف بأقل فى الأمر بالجد والعمل من السعى بين الصفى والمروة، و إن فى الوقوف بعرفة لإشارة صريحة أو أمرا بأن من واجب المسلمين إذا أردوا الاحتفاظ بدولتهم واستبقاء كيانهم مرهوب الجانب موفور الكرامة أن يكون أمرهم شورى بينهم وأن يعرضوا ما جد من الأمور على مجموعهم للبحث والتمحيص والحكم لتوافر المواهب على إحسان التوجيه، فالوقوف بعرفة بمثابة مؤتمر عام يجمع أنواع المسلمين على اختلافهم ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معدودات وليتشاوروا فى شؤونهم الدينية والدنيوية وفى هذا المؤتمر فائدة كبرى .

وإذا كانت الدول الراقية تعمل على عقد المؤتمرات الاقتصادية والفكرية والسياسية والصحية والدينية فأحر بالمسلمين ألا يتخلفوا عن عرفات ذلك المؤتمر العظيم الذى فيه نجاحهم وفلاحهم فى هذه النواحى جميعا .

وإن فى طواف الوداع بعد الانتهاء من مناسك الحج لأكبر برهان على أن الدين الاسلامى لم يهمل أمر المجاملة والآداب العامة فقد شرع طواف الوداع استئذانا من رب البيت بالرحيل كما شرع طواف القدوم تحية لرب البيت واستئذانا بالدخول، وفى هذا اشارة الى أن القادم تلزمه تحية رب البيت واستئذانه عند القدوم وعند الرحيل .

أرأيتم أيها السادة تشريعا أفضل من هذا التشريع الذى عنى بكل شىء حتى بالمجاملات بين الناس والناس ، تشريع يربط العبادة بالاجتماع والاجتماع بالعبادة ربطا وثيقا .

هذه هى أركان الحج وتلك مشاعره ، وقد ذكرنا سر التشريع فيها وما تفيده البشرية منها فى الآخرة من جنة ورضوان ، وفى الدنيا من نظام وتهذيب للاجتماع ، وهى بهذا الوضع عبادة وقربة وصلة بين العبد وربه أولا ، ثم هى بعد نظام اجتماعى خطير خليق بأن يكون أمة ، و يبنى دولة تستطيع أن تؤدى رسالة من خير الرسالات فى إسعاد البشرية وهنائها تلك التى أهدف إليها القرآن فى كثير من آياته .

تلك الرسالة مداها تعويد الفرد قوة الإرادة و إتقان العمل و إحسان الأهداف وتهيئته للاقاة الأحداث وتصرفات القدر المستورة المغيبة و إرشاده إلى آداب الاجتماع ونظام الاجتماع ومن مزاياها تكوين الجماعات من لبنات الأفراد الذين تقدم ذكرهم و بتهيئة الأفراد وتكوين الجماعات يستقيم أمر الشعوب وتبنى الدول وتسعد البشرية فى حياتها وتصل إلى الغاية المرجوة فى سلام .

هذا هو تشريع الإسلام وتلك مزاياه وفضائله وهذى أسرار الحج وفوائده .

مصطفى الصاوى

مدرس بالمعاهد الدينية ، وعضو رابطة الاصلاح الاجتماعى

فى ميدان العمل الحر متسع للشباب المثقف

للاستاذ عيسى متولى

لفت نظرى إعلان صغير فى إحدى الصحف اليومية ، نشره شاب من خريجى التجارة المتوسطة ، يعرض فيه استعداده لدفع تأمين مالى قدره مائتا جنيه ، نظير إلحاقه بوظيفة "محصل" فى إحدى الدوائر ! ...

رثيت لهذا الشاب الذى فقد كل أمل فى ميدان العمل الحر ، فراح يسعى وراء وظيفة بسيطة ، لا يتعدى راتبها عدد أصابع اليد الواحدة من الجنيهات ، عارضا مبلغا محترما كهذا بمثابة تأمين لتلك الوظيفة ! ...

ولو أنصف هذا الشاب الذى تخرج فى مدرسة التجارة ، لاتخذ من هـذا المبلغ الذى يريد أن يقبره رأس مال يبدأ به عملا من الأعمال الحرة ، يدر عليـه أضعاف ماتدره عليه الوظيفة ، ولا سيما فى هذه الظروف التى ظفر فيها أصحاب المهن الحرة إلى ذروة الثراء ... ولكنه هام حبا بالوظيفة ومظاهرها ، وقنع بدخلهـا المحدود ، شأنه فى ذلك شأن معظم شبابنا الذين يتخرجون فى مختلف المعاهد والكليات ، ويحصلون منها على أرفع الشهادات وأرقى الدرجات ، التى تؤهلهم لمزاولة الكثير من الأعمال الحرة ، وتكفل لهم الفوز والنجاح ، ولكنهم يحجمون عن مزاولتها ، ويعرضون عنها ، ويتهافتون على الوظائف الحكومية تهافتا غريبا ، كأن مستقبلهم قائم عليها وحدها ، فيقصدون ذوى الحيثية والجاه ، يتشفعون بهم عند أولى الأمر ، ويلتمسون منهم البطاقات والتوصيات ! ... فكأن الأمنية الوحيدة للشاب بعد إتمامه الدراسة إنما هى "الوظيفة" ... مناط الأمل ، ومعقد الرجاء ! !

وكيف تتسع الوظائف الحكومية لهؤلاء المئات ، الذين يتخرجون فى مختلف المعاهد فى كل عام ؟!

ولو حاولنا تعليل هذه الظاهرة السيئة ، أدركنا أن للنشأة الأولى دخلا كبيرا فيها ، فنحن لا نعود الطفل منذ صغره الاعتماد على نفسه فى شأن من الشؤون ، فنشعره بعجزه دائما عن مزاولة أى عمل دون مساعدة يمده بها الغير . فيشب ضعيف الثقة بنفسه ، ويجبن عن مزاولة أى عمل حر ، أو القيام بمشروع من المشروعات ، لأنه تعود منذ صغره ذلك. تعود أن يكون له فى كل عمل معين يعينه على أدائه . فنحن نشفق على الطفل أن يجهد نفسه فى عمل من الأعمال ، ونحمل عنه الأعباء كلها . حتى كتبه المدرسية نعفيه من حملها

عند ذهابه إلى المدرسة وعودته منها ، فنبعث برفقته من يحمل له كتبه وأدواته . وهذا لون من ألوان التدليل الذى يضر بالطفل ضررا بليغا ، لأننا نفقده عادة حميدة يجب أن تلازمه منذ صغره لتفيده فى رجولته ، وهى الاعتماد على النفس والثقة بها . وهى خير سلاح يزود به الشباب فى معترك الحياة ! ...

* * *

أنظروا كيف يشق الأجنبى طريقه فى الحياة ، بملأ صدره الأمل وينير له طريقه ، ويحفزه إلى السعى دون أن يتطرق إلى عزيمته وهن ، ولا إلى نفسه قنوط ! ...

يقصد الأجنبى بلادنا خالى الوفاض ، ويقتحم ميدان العمل الحر ، فاذا به بعد أعوام قلائل من أصحاب الأعمال الكبيرة ، ذلك لأنه لا يستنكف عن مزاولة أى عمل ، ما دام هذا العمل شريفا ، يدر عليه ما يقيم أوده ويغنيه عن الغير ... فتراه يحترف مختلف المهن والصناعات التى يستنكف بعض شبابنا احترافها ، ثم يتقدم فى هذه الصناعة شيئا فشيئا حتى يجيدها ويتقنها ، فيتسع نطاق أعماله ، وتزداد ثروته ، ويتضاعف رأس ماله . وهكذا يعرف الأجنبى كيف يخوض غمار الحياة العملية ، سلاحه الاعتماد على النفس ، وشعاره المثابرة والدأب ، ورأس ماله الجد والكفاح !

أذكر أننى مررت فى مرة بمتجر صغير للشاى ، يملكه رجل أجنبى ، فى أحد شوارع القاهرة ، واشتريت منه يومئذ كمية من الشاى ، فلم يكن بهذا المتجر الصغير سوى صندوق واحد من الشاى ، بل ولم يكن صاحبه يمتلك ميزانا ، فلجأ إلى جار له يزن لى بميزانه . . ومرت الأيام . . فاذا بهذا المتجر يمتلىء شيئا فشيئا بصناديق الشاى ، فأخذت أتتبع تقدمه كلما مررت بطريقه ، فاذا به بعد أشهر معدودات متجر محترم ، زاد عدد عملائه ، وامتلأت جنباته بصناديق الشاى والبن معا ، ولما لمس الرجل هذا الاتساع استأجر المتجر الذى يجاوره ، وخصصه لتجارة البن وطحنه .

ومررت بهذا المتجر أخيرا ، فراعنى ماشاهدت ! . . شاهدت متجرا عظيما ، علقت على واجهته لوحة كبيرة ، كتب عليها "مخازن الشاى ومطاحن البن الكبرى" تدار مطاحنه بالقوة الكهربائية ، وعلى إحدى مناضده (التليفون) وبه موازين كثيرة من مختلف الأحجام . .

أرأيتم كيف بدأ هذا التاجر عمله صغيرا ، لا يملك ميزانا يزن به بضاعته ؟ ؟ . فاذا به بعد أعوام قلائل من أصحاب الأعمال ؟ .

إن الفضل فى ذلك إنما يعزى إلى اجتهاده ، ودأبه ، ومثابرته على العمل . .

هذا مثل من أمثلة كثيرة ، نلمسها فى كثير من المناسبات ، ونشهدها فى كل يوم . . ولقد شاهدنا فى السنوات الأخيرة فريقا من رجال التجارة وأصحاب المهن الحرة قد استفادوا كثيرا ، وربحوا كثيرا ، فلقد يربح أحدهم فى صفقة واحدة ما يعادل أو ما يفوق مرتب موظف فى عام بأكمله ؟ .

هؤلاء العصاميون الذين ابتسمت لهم الحياة لم ينالوا ما نالوه ، ولم يبلغوا ما بلغوه ، عن طريق الوظائف والتوظيف ، إنما نالوه بفضل الاعتماد على النفس والإيمان بها . . فما السر إذن فى تهافتنا على الوظيفة ؟ .

سلوا الموظفين عن هذه القيود التى تقيدهم بها الوظيفة . . ولا يستطيعون التحرر من ربقتها . .

سلوهم . . يقولوا لكم الشىء الكثير . . ويتمنوا لو أن الأقدار هيأت لهم غير ما هيأت .

* * *

من الواجب أن يوجه الشباب جهوده إلى ميدان الأعمال الحرة ، فيستغل كل منهم مواهبه العلمية فى الناحية التى تخصص فيها .

فخريجو الزراعة المتوسطه وكليتها . . لماذا لا يستثمرون مواهبهم العلمية فى النواحى التى درسوها ، فيقبلون على إحياء الصناعات الزراعية فى بلاد زراعية تفتقر إلى صناعات زراعية ؟ .

وخريجو التجارة المتوسطة وكليتها . . لماذا لا يستثمرون مواهبهم العلمية فى ميادين التجارة ، وهم أجدر الشباب بمزاولة الأعمال التجارية ؟ ! .

وخريجو المدارس الصناعية . لماذا لا يستثمرون جهودهم فى إحياء الصناعات التى تحس بحاجتنا الماسة إلى قيامها ، ولقد لمسنا مدى هذه الحاجة بعد قيام الحرب وانقطاع معظم الواردات الصناعية من الخارج . . .

قد يعزى بعض الشبان سبب إحجامه عن مزاولة الأعمال الحرة إلى افتقاره إلى رأس المال الذى يبدأ به عمله ، أو الأرض التى يريد استغلالها ، وهذه ولا شك عقبة كأداء ، يجب ألا نغفلها أو نستهين بأثرها ، تقعد الكثيرين عن تحقيق مشروعاتهم ، وعلاج هذه المشكلة إنشاء بنك صناعى ، يمد هؤلاء الشبان بسلفيات صناعية ، تسدد على أقساط سنوية بفائدة بسيطة ، تمكنهم من تحقيق مشروعاتهم ، بعد دراسة هذه المشروعات ، والتأكد من نجاحها ، واشراف لجنة حكومية على كل مشروع تمد الحكومة صاحبه بالمال اللازم .

كما أن نظام الاقطاعيات الزراعية لخريجي الزراعة يذلل هذه العقبة ويساعد على استغلال الأراضي البور ، ويفسح مجال العمل الحر أمام هؤلاء الشبان المثقفين . .

استعينوا بمساعدة الشباب في تحويل هذه الأراضي البور إلى جنات معروشات ! . .

ولا يفوتني هنا أن أشير إلى ظاهرة سيئة ، وهي أن بعض أصحاب الثروات في مصر يؤثرون تكديس أموالهم في الخزائن عن استثمارها في مشروعات صناعية مفيدة ، ولو أن هذه الأموال المحبوسة وجهت وجهة صالحة ، لآتت أطيب الثمرات ، ولفتحت باب الرزق للكثيرين .. ولكنهم — مع الأسف — حبسوها في الخزائن ، وأقاموا عليها من أنفسهم حراسا ؟ ! .

* * *

بقي على أن أشير إلى نقطة هامة في الموضوع ، وهي " المركز الاجتماعي " أو " المكانة الاجتماعية " للموظف ولصاحب العمل الحر ، فنحن لا ننظر إلى التاجر نفس النظرة التي ننظرها إلى الموظف ، الذي نتزله مركزا اجتماعيا أرفع وأسمى . . فإذا تقدم رجل من رجال الأعمال التجارية لخطبة فتاة ، آثر أهلها زواجها من موظف حكومي عن زواجها بالتاجر . وكانت حجتهم في ذلك أن التاجر عرضة للإفلاس ، ونسوا أن الموظف كذلك — مهما كان مركزه الأدبي — عرضة للفصل في أي وقت لسبب من الأسباب ! . . . . .

لذلك نرى الموظفين يتمتعون بمكانة اجتماعية رفيعة ، ولعل هذا عامل من عوامل تعلق شبابنا بالوظائف . . وهذه بعض " مغريات الوظيفة " . . . حتى أننا نرى في بعض الدواوين والمصالح فريقا من أبناء الأغنياء يشغل بعض الوظائف ، لا لحاجته إلى مرتبها بل احتفاظا بمركز ملحوظ في الهيئة الاجتماعية ! . . ومنهم من ينفق راتبه ثمنا لبنزين عربته ، أو ثمنا للفافات التبغ التي يقدمها لزواره ؟ ! . .

* * *

إن في ميدان العمل الحر لمتسعا للشباب المثقف . . . فليول الشبان وجوههم شطره ، وليتخذوا من هذا الميدان الحر حلبة سبق ، ومضمار منافسة ، تتنافس فيه الهمم ، وتتسابق العزائم ! . .

شباب قنع لا خير فيهم وبورك في الشباب الطامعينا

عيسى متولي

قصة اجتماعية

النغم المبتور

بقلم سمير . م

على ساحل البحر ، حيث تتوسد الشاطئ إحدى المدن الساحلية المصرية . وفى هجعة الليل حيث المدينة وسنانة ، وحيث أهلها ينعمون بنوم هادئ لذيذ ، تاركين للغد كل ما يتمخض عنه الغد ، بدأ " عبد العظيم " ينفض عن عينه ثوب الكرى ، وينظر إلى البحر الهادئ الساكن نظرة المحب العاشق أو نظرة الابن البار لأمه العطوف الحانية ، والحق أن " عبد العظيم " كان مدينا للبحر دينا لن ينساه فى حياته حتى لو تعمد أن ينسى. فلم يقتصر فضل البحر على عبد العظيم فقط ، وإنما فضله يغمر والديه وجده وقد يتصل الفضل بسلالته كلها أو جلها ؛ فوالد عبدالعظيم كان يشتغل بصيد السمك من البحر وارثا المهنة عن والده ، ولا يزال المترددون على شادر السمك فى تلك المدينة يذكرون عم "مسعود" الصياد، ويذكرون كيف كانت حلقة السمك تلتمش كل يوم على يدى عم مسعود .

وكان للفتى عبد العظيم ولع كبير واستعداد طبيعى للغناء ، وقد يكون للمدينة وما يحيط بها من مفاتن الطبيعة الساحرة الدافع الأكبر لتنمية مواهب الفتى وتقوية استعداده ، إذ كان يعيش فى مدينته سعيدا خالى البال يملأ شاطئ البحر بنغماته الساحرة الفاتنة ، قانعا بالقروش الستة التى كان يتناولها من المعلم " سفروت " الصياد صاحب الزورق الذى كان يساعده فى صيد السمك ليلا ، فكان ينام النهار ويستيقظ الليل ليباشر عمله مع الصياد، وكان الصياد معجبا بمساعدة الفتى ، ويشعر بحنين وشوق كلما غاب عنه فيحرم من صوته العذب ونغماته الرقيقة .

فالفتى فنان بالسليقة يجمع فى أنغامه بين روح الطبيعة وروحه ، ويعبر بصوته عن شكواه وحنينه ، كما يعبر عن شكوى البحر فى هدوئه عند هبوب الرياح ، وعن شكوى الرياح وأنينها عند هبوبها فى رحاب السماء ، وكانت الطيور تصغى إلى أناشيده وتتلقنها منه ، فكان البلبل يقلدها فى تغاريده ليلا ، والقبرة عند بزوغ الفجر .

طار صيت الفتى على طول الساحل فكان عمال الساحل يقصدون الشاطئ ليلا يستمعون إلى الفتى الموهوب فينسون آلامهم المعيشية وهم يستمعون إلى الصوت الحنون ولو إلى حين ما . وكان أشد هؤلاء افتتانا وحرصا على سماع الفتى فتاة حلوة القسمات ناضجة الأنوثة غضة الاهاب ليس لها فى الحياة من ناصر أو معين سوى أمها التى تحترف طحن الغلال فتكسب من يومها قروشا تضيفها إلى ايراد ابنتها من بيع البرتقال على شاطئ البحر للعمال والصناع فيتغلبا بها على ضروريات الحياة .

شعرت الفتاة وهى فى ترددها على الشاطئ بدافع خفى يدفعها نحو الفتى صائد السمك ، وكان صوته الحنون الذى يحوى فى ثناياه أسى ولوعة يجدان صداهما فى نفس الفتاة المحرومة من عطف الحياة ونعيمها فيتغلغل فى نفسها شعور بالتعزية والاحساس بأن فى الحياة من يشاركها ألمها وشقوتها ، وكنتيجة طبيعية لهذه العاطفة التى سرعان ماوجدت استجابة لها من ناحية الفتى الذى عثر فى فتاته ماهمة تفتح أمام موهبته مغاليق الروح وتستخرج من قرارة نفسه كنوز الفن ، تعاهد الفتى والفتاة أن يكونا لبعضهما حتى الموت وأن الايام لن تستطيع أن تفرق بينهما أو تنال من عهدهما .

واهتدى الفتى أخيرا إلى طريقة تزيد من إيراده وتنقذه من ورطته ، فكان فى وقت فراغه يصعد على ظهر البواخر التى ترسو فى الميناء فيمارس أمام الأجانب بعض ألاعيب الحواة والشعوذة التى تعلمها من زملائه فى البحر ، فكان يظفر منهم بقروش يسيرة أمكنه أن يجمعها فصارت مبلغا لا بأس به دفنه فى جهة معلومة من رمال الشاطئ .

شعر الفتى بعد أن تعاهد مع فتاته أنه قد تعرض لمسئولية جديدة عليه ، لابد له أن يتحملها مهما كان الأمر ، فهو فى حاجة إلى زيادة إيراده حتى يمكنه أن يوفر جزءا استعدادا للزواج ومطالبه ، ويعطى الباقى لوالدته العجوز كى تضيفه إلى ربحها البسيط من بيع الجرجير والليمون والفجل وتنفق منه على أفراد الأسرة المكونة منها ومن أولادها الثلاثة وأصغرهم عبد العظيم ، كان الاخوان الكبيران لاعمل لهم فى الحياة إلا الأكل والنوم والاعتداء على كسب أمهما وعبد العظيم ليدفعا منه ثمن النارجيلة ولعب الورق فى المقهى .

وفى ليلتنا هذه التى بدأت فيها حوادث هذه القصة ، وبينما كان عبد العظيم يتجه الى زورق عم "سفروت" الصياد ليستأنفا عملهما فى صيد السمك بمصاحبة صوت عبد العظيم الطروب ، رأى الفتى مصباحا يتجه حامله صوب الزورق ، وهو يريق ضوءا مضطربا يرشد حامله الى الطريق ، فتأمل عبد العظيم المصباح برهة ، فظنه لأحد النوتية الذين يعملون بالليل ، وهم يستأنف المسير ، إذا بصوت خافت مضطرب تخالطه نبرة من حزن مرير يصيح .

— عبد العظيم ... عبد العظيم ...

— من ... أمينه ؟

— أجل ... أين أنت ؟

فتقدم منها الفتى وأخذ بيدها المرتعشة وهو ينظر اليها نظرة المستطلع لأمرها المتألم لها ، ولما رأى الفتاة تعانى رعدة تملكتها من فرعها إلى أخمص قدميها أجلسها على صخرة من صخور الشاطئ وسألها عما جاء بها فى مثل هذا الوقت ؟ وبعد برهة أجهشت الفتاة بالبكاء المرير واستطاع الفتى أن يفهم من كلماتها المختلطة أنها بينما كانت راجعة الى البيت شعرت بانقباض شديد لا تدرى سببه ، ثم سرعان ما انجابت لها الحقيقة عندما ولجت بيتها ورات أمها ملقاة على الأرض جثة هامدة وليس بجانبها من يغمض عينها ساعة الموت أو يسقيها جرعة من ماء .

دمعت عينا الفتى لما نال فتاته وتقدم منها فى لوعة ثائر صامت يطلب اليها أن تبكى ، فإن انحباس دموعها فى مآقيها لأشد خطرا من هطولها . ثم تركها فى غيبوبة الألم برهة عاد اليها بعدها وهو يحمل المبلغ المدخر كى يرافقها الى حيث ترقد أمها التعسة .

وبعد أن قام الفتى بواجبات الجناز والدفن اصطحب الفتاة الى أمه لتجعل منها ابنة ولتتخذها هى أما بعد أن عدمت الأم وفقدت آخر الأهل .

ولم يعد هناك ثمت ما يدعو الى تأجيل الزواج ، فسرعان ما تم بعد أن انتهت أيام الحداد ، فأقامت الفتاة فى بيت أسرة عبد العظيم ، وأبى الفتى أن تعود زوجته الى الاشتغال ببيع البرتقال على الشاطئ فكفاهم ما يكتسب هو وأمه ليقضى حوائج الأسرة ويقوم بأودها .

وقد لا يعرف عبد العظيم حتى الساعة أن زوجته كانت تساعد أمه خفية فى بيع الفجل والجرجير عندما تطلب منها الأم ذلك ، فقد كانت الفتاة تحرص على ألا يعرف زوجها هذا الأمر فيغضب من أمه وما يتبع هذا الغضب من أمور .

ظلت السفينة تسير فى طريقها حاملة أسرة عبد العظيم والريح لا بأس بها والجو معتدل حتى ثارت الزوابع وعصفت الرياح فانصدعت الدفة واختل توازن السفينة ، وكان ذلك بينما عبد العظيم يعتلى سارية الزورق ليطوى "القلع" اذ انزلقت قدمه فوقع على سطح الزورق وهو يعانى ألما لا يطاق فى ساقه اليمنى ، ولم يدر الفتى نفسه شيئا من ذلك الا بعد أن استفاق فى المستشفى بعد أيام وهو طريح سرير من أسرتها .

ويعجزنا أن نصور شعور الفتى ربيب البحر وابن الطبيعة القوى وهو يرى نفسه فى إحدى الليالى طريحا فى فراش يصرخ كل ما حوله بكلمة "مرض"، ولم يفهم الفتى بادئ بدء حقيقة ما حدث له ، ولكنه عند ما استمد من ضعفه قوة وتحامل على نفسه ليقف على قدميه ويطرح عنه ثوب المرض لم يشعر الا وقدماه تهويان الى الأرض فينكفئ على وجهه وقد صرخت فى أذنيه الحقيقة المروعة . لقد قطعت ساقه ! ! !

أيمكن هذا ؟ أمن المعقول أن ينقلب الصحيح ناقصا ، والسليم معتلا ، والقوى ضعيفا ؟ أجل ممكن ، وهكذا شاءت الأقدار .

ظل عبد العظيم فى إغمائه مطروحا على الأرض بعد أن تبلجت له الحقيقة القاسية ما يقرب من الساعتين حتى طلع الفجر، وانتشر المرضون يطمئنون على المرضى فى المستشفى واذا بهم يعثرون على الفتى وهو فى رقدته فيحملونه الى سريره ، ويعملون على تنبيهه حتى اذا أفاق ظل يتفرس فى وجوههم بذهول يكاد يدنيه من الجنون ، وهم يجاهدون بكلماتهم المواسية أن يهونوا من خطبه ويخففوا من مصابه ، ولكن ماذا تجدى الكلمات نفعا أمام هول الواقع .

* * *

بارح الفتى المستشفى وهو يتوكأ بيد على عصى هى فى الحقيقة فرع جاف لإحدى الأشجار، وبيده الأخرى يتحامل على زوجته المخلصة أمينة التى أبت بعد أن ألمت بمصاب زوجها أن تبارح باب المستشفى أكثر أوقاتها ، انتظارا لخروج زوجها وارتقابا لأخباره . ويتصادف أن تكون الزيارات ممنوعة للمرضى فتعذر عليها أن تزور زوجها الطريح ، ولم تأبه لنصح المرضين ولا الأطباء بالذهاب الى منزلها ولتطمئن على سلامة زوجها . ولكنها ظلت أكثر الأيام بجوار المستشفى تتطلع الى نوافذها راجية أن تحظى برؤية زوجها حتى اذا نال منها التعب آبت الى منزلها بقلب كسير ونفس متوجعة .

وعندما علمت الزوجة بما حل بزوجها بعد أن رأته يغادر المستشفى وهو يجر خلفه ساقا واحدة، لم يظهر عليها أثر الصدمة التى نزلت بها فزلزلت كيانها ، ولكنها تحملتها بصبر وشجاعة ، ولم يبد عليها أنها قد ألقت بالا للمصاب ، فكانت تتم وهما فى طريقهما بعبارات التشجيع والمواساة ، بينما كان قلبها يتفتت ألما ، وكبدها يذوب مرارة .

وفى المنزل استقر بالفتى المقام حيث اجتمع حوله نفر من الصحاب والزملاء والأقارب ولكن سرعان ما انفضوا من حوله بعد أن جاد كل منهم بما فتح الله عليه به من العبارات الملائمة للموقف .

لم تمض أيام قلائل على استقرار الفتى بالمنزل حتى برمت به أمه بل وصارحته من أين تطعمه هو وزوجه ؟ فحز الألم فى نفس الفتى ، ولكن الزوجة المخلصة لم تدعه يتألم طويلا ففى اليوم التالى خرجت فى البكور قبل أن يصحو زوجها وذهبت الى صاحب المطحن الذى كانت تعمل فيه أمها ورجته أن يقبلها فى مكان أمها ، وظلت تستدر عطف الرجل وشفقته حتى قبل وعين لها أربعة قروش فى اليوم فرحت بها الزوجة الشقية وحملتها آخر اليوم إلى والدة زوجها ، بينما كان الزوج يتقطع أسى ويتمزق ألما لاضطرار زوجته الى الخروج للحصول على قوته وقوتها .

وفى ذات يوم أمكنه أن يتوكأ على عصا ويذهب الى إحدى الجمعيات الخيرية يسألها أن تساعده الجماعة فى إيجاد عمل له ، فعينته الجمعية مؤذنا فى أحد المساجد التابعة لها لقاء جنيه فى الشهر ، فكان الفتى يقوم فى الفجر ليؤذن للصلاة ، فيدوى صوته فى المدينة رائعا ساحرا يحوى الى جمال الصوت جلال المعنى وعظمة الدعوة ، فكان الناس يحدون فى المؤذن الجديد داعيا يهيب بهم الى اللجوء الى واحة الدين ، فتصل دعوته الى أعماقهم وهى تهتف بهم فى الكلمتين الصغيرتين فى مبناهما الكبيرتين فى معناهما " الله أكبر " فتجد قلوبا متفتحة ، وآذانا صاغية ، وعقولا واعيـة .

وكان عمله كمؤذن فى المسجد فرصـة لاتصال الناس به واستطلاعهم أمره وعطفهم عليه ، فمنهم من كان يساعده بما يجود به ، ومنهم من كان يتطوع بنصحه بامتهان مهنة توافقه ، ومنهم من يعرض عليه أن يحيى له ليلة زفاف لقاء عشرة قروش أو ليلة مأتم لقاء خمسة قروش .

وهنا بدأ عبد العظيم يتمتع بصيت لا بأس به كمغن ومقرئ حتى أن أحد وجهاء المدينة سمع به يوما فدعاه لإحياء ليلة مرور أسبوع على مولد طفله نقده فيها خمسين قرشا ، لم يكن الفتى يحلم بها أجرا فى يومه . وقد حدث زميلا له كان يصطفيه من صائدى السمك بما كسبه من الحفلة ، فشجعه زميله وقال له إنه يكسب أكثر لو نزح الى القاهرة ، ففيها محطة الإذاعة ، وهى تشجع أصحاب الأصوات الحسنة وتنمى فيهم مواهبهم وتقوى استعدادهم .

وبعد تردد يسير اختمرت فى رأس عبد العظيم فكرة النزوح الى القاهرة ليجرب حظه فيها عسى أن يبتسم له الحظ بعد طول عبوس .

وشاءت المقادير أن تساعده على تحقيق رغبته فأمكنه أن يدخر مبلغا يمكنه وزوجه من السفر الى القاهرة ، فما كادت أصابعه تقبض على المبلغ حتى هرع الى زوجته مصطحبا إياها صوب المحطة حيث ابتاع تذكرتين فى القطار المسافر الى القاهرة .

وفى محطة القاهرة وقف القطار ليضم الى القاهريين وافدين يحدوهما الرجاء ويدفعهما الأمل ، ولم يكن لعبد العظيم فى القاهرة أهل أو معارف ، ولم يفكر ساعة أن امتطى القطار من مدينته فى أى مكان يذهب عند وصوله الى القاهرة . لذلك اصطدم بهذه المشكلة الجديدة أين يذهب ، وكيف يسير ؟

جلس الزوجان فى ميدان المحطة على افريز الشارع أمام إحدى المقاهى : الزوج يتوكأ على ساق خشبية صنعها هو بنفسه من أخشاب الصناديق والأشجار فجاءت غير مهذبة وان كانت تفى بالغرض المطلوب ، وكان يرتدى جلبابا قذرا فوقه سترة ممزقة وطربوشا باليا . أما الزوجة فكانت تجرجر خلفها أسمالا بالية تسترها بملاءة ليس فيها شبر واحد سليم وتنتعل نعلا تبرز منه أصابع قدميها الخمسة .

كانا فى جلستهما يمثلان البؤس والفاقة بأجلى معانيهما ، فعلى وجه الزوج تلوح دلائل الحيرة ، وفى عينى الزوجة يبرق بريق الحرمان وجور الزمان .

لاحظ جلستهما واحد ممن يجلسون فى المقهى ، فتملكه الفضول ، فانتقل بكرسيه الى جانبهما وسألهما لماذا يجلسان هكذا ، فقص عليه الفتى قصته ، فتأثر الشاب بقصتهما خصوصا بعد أن رفع عبد العظيم عقيرته بالغناء ليثبت للشاب صدق قوله ، فدعاهما الشاب واسمه احمد الى تمضية الليلة فى منزله حتى إذا أصبح الصباح وجد لهما مخرجا ، فكان العرض هو كل ما يرومه عبد العظيم ، فسرعان ما انقاد هو وزوجته الى أحمد الذى اصطحبهما إلى بيته حيث يعيش مع أمه العجوز .

وفى صباح اليوم التالى اصطحب أحمد افندى الفتى عبد العظيم إلى أحد أقربائه من ذوى المكانة العالية كى يحصل منه على توصية لمحطة الاذاعة ترشح عبد العظيم للعمل فيها ، ولسوء الحظ وجدا الرجل متغيبا فى ضيعته فاحتارا ماذا يفعلان ؟

ويتعاذف أن كان مسيرهما فى طريق محطة الإذاعة ، فسأل الفتى عبد العظيم وهو الوافد الجديد على المدينة عم يكون البناء الكبير الذى إلى يمينه ، فالتفت أحمد وقال له : إنه . . . . محطة الإذاعة .

دوت هاتان الكلمتان فى رأس عبد العظيم وتمثل فيهما أمله الذى أتى ليحققه وحياته التى سافر ليؤسسها ، وزوجته التى هاجر ليسعدها .

لم يشعر أحمد افندى إلا وعبد العظيم ينعطف إلى باب المحطة فيلجه كى يصدمه بواب المحطة سائلا : إلى أين ؟

— إلى مدير المحطة

— ألديك موعد معه ؟

— كلا وانما أرسلنى له أحد الباشوات بخطاب اليه

— إذن اعطنى الخطاب وسأرسله وسيطلبك بعد ذلك

— كلا سأعطيه الخطاب بنفسى .

فلم يجد البواب بدا من الذهاب إلى مدير المحطة و إخباره بأمر الزائر الغريب . وقد يكون وصف البواب لحال الزائر ومظهره أثر فى نفس المدير دعاه لسماحه له بالدخول، وقد يكون لتوصية الباشا الدافع الأكبر، على كل فقد دخل عبد العظيم إلى غرفة المدير الفخمة يتأملها بإعجاب وافتتان وهو يتوكأ على رجله الخشبية التى تحدث صوتا منتظما كلما خطا خطوة .

— سأله المدير .

— أين توصية الباشا .

— ليس عندى توصيات من أى مخلوق ... ولكن عندى توصية من الخالق .

أعجب المدير باجابة الفتى البائس فسأله الأمر فقصه عليه، فقدم المدير اليه جنيها ودعاه لزيارته فى اليوم التالى ليمتحن صوته ، فانحنى الشاب على يد المدير يقبلها وقد أغرورقت عيناه بالدموع ، ولم ينس وهو خارج أن يطلب من المدير أن ينبه على البواب كى يسمح له بالدخول فى اليوم التالى .

* * *

وفى اليوم التالى بدأ عهد جديد يحتوى المطرب الناشئ " عبد العظيم مسعود" فما لبث مدير المحطة أن وجد فى الفتى جوهرا نادرا، ولكنه خام يحتاج إلى الصقل والتهذيب حتى يصير آية فنية وتحفة نادرة ، فأجرى له مرتبا شهريا حتى يتم الفتى دور التعليم والتلقين وأعطاه رداء كاملا من أرديته، وكان الفتى على شىء كبير من الذكاء فسرعان ما تعلم العزف على "العود" وتمييز النغمات وضبط الحركات والإيقاع ، ثم ما لبث أن تقدم لعمل " البروفة " النهائية فنجح نجاحا باهرا أمكن للمحطة بعده أن تعلن عن عثورها على مطرب نادر سيخلب الألباب ويهز الأفئدة، وكانت الدعاية التى سبقت الفتى لفتت أنظار الجمهور فظل يترقب يوم إذاعته بصبر فارغ حتى حل اليوم المرتقب .

ولن نتحدث عن نجاح المطرب الجديد فكفى أن مدير المحطة بعد أن سمعه بكى، أجل بكى من روعة الأداء و جمال الصوت وسحر التغريد .

ولن نتحدث أيضا عن زوجة المطرب الجديد وهى تستمع إلى راديو المقهى المجاور للمنزل الذى استأجرا غرفة منه، أثاثها حشية ووسادة وغطاء، لقد اغرورقت عيناها هى أيضا بالدموع بعد أن استمعت الى أكف جلساء المقهى وهى تكاد تتقطع من التصفيق وهم لفرط تأثرهم بالصوت البديع يكادون يخرجون عن شعورهم فيقبلون آلة الراديو إعجابا وافتتانا .

نجح المطرب " عبد العظيم مسعود " وظل يرقى من نجاح إلى نجاح و ينتقل من مجد إلى مجد ومن انتصار إلى آخر حتى شعر المطربون القدماء بمنافس قوى أصبح ينازع كبيرهم مكانته و يكاد يقضى عليه ، ولكن ماذا يفعلون، انها هبة الله، ولن نستطيع مهما أوتينا من قوة أن نمنعها عن أحد .

أصبح المطرب يسكن مع زوجه شقة فخمة أثثها بأثاث أفخم، وأمكنه أن يبتاع سيارة جميلة يستعملها فى غدواته وروحاته، وصار الموسيقيون الكبار يتمنون لو ظفروا بالانضمام الى فرقته ، حتى صارت فرقته أعظم فرقة موسيقية فى القطر ، وحتى صار اسمه أشهر من الشهرة نفسها ، وكان أصحاب الحوانيت يسمون حوانيتهم باسمه وازياءهم يلقبه " المطرب عبد العظيم مسعود ".

تلألأ هذا الاسم فى طول البلاد وعرضها ، وسرى سحره الى البلدان الشقيقة فصارت العقود تترى عليه والحفلات فى مختلف البلاد تنهال من حواليه ، والحظ ما زال يواتيه ، ونجمه ما زال فى صعود .

لم ينس عبد العظيم أن يرسل لأسرته مبلغا كل شهر يستعينون به على قضاء حوائجهم، وكذلك لم ينس أن يقول لزوجته إن طبيعة مهنته تتطلب أن يوهم الناس أنه أعزب حتى يجد سوقا أروج ، فما كان من الزوجة المحبة لخير زوجها الا أن توافق وتدعى أمام زواره ساعة أنها أخته وساعة أخرى أنها خادمته .

وكان المطرب كثيرا ما يصطحب أو يستقبل فى منزله سيدات وآنسات يزعم لزوجته أنهن يدعونه لحفلات، وكانت المسكينة تصدق وقد يتصادف ألا يكون بالمنزل خدم فتتقدم للزوار القهوة باعتبارها خادمة .

وفى يوم من الأيام تعرف المطرب الكبير وهو فى أوج مجده و بين نخبة من أصدقائه الذين التفوا حوله من عليـة القوم وأرباب المناصب وأولاد الأسر، تعرف المطرب بفتاة لعوب أظهرت له من صنوف الإغراء ما جعله يؤمن بأنها تحبه ، فانزلق فى تيارها حتى صعب عليه أن يمنع نفسه من الانحدار ، وتمكنت الفتاة من أن تنتزع منه وعدا بالزواج

فى ساعة من ساعات النشوة الحالمة ، وكانت تستنجزه وعده وهو فى حيرة وتفكير دائم عمّ يفعله بزوجته التى صارحته منذ أشهر بأنها تحمل جنينا .

وجاءه المخرج اذ قارب زوجته الوضع ، فأشار عليها أن تلد فى بلدته عند والدته حيث تجد من يعنى بها ، فانخدعت الساذجة وسافرت تاركة زوجها ليبنى على الفتاة اللعوب التى سلبته العقل وشلت منه التفكير .

وفوجئ سكان الحى الذى يسكنه المطرب بأثاث جارهم ينقل من المنزل الى جهة مجهولة فتساءلوا : ما السبب ، فتطوع البعض ممن عرفوا حقيقة الموضوع باخبارهم بأن المطرب سيتزوج ولذلك فسينتقل الى مسكن أكبر ، وقد سافرت " شقيقته " الى بلدته لتحضر مع أقاربه .

تزوج المطرب من فتاته وظل فى نشوة الزواج متناسيا زوجته الساذجة "أمينه" التى تحملت معه صنوف الشقاء والحرمان والتى وضعت مولودة فرحت بها وخيل اليها أن نجما جديدا أشرق فى سماء سعادتها وربطها بزوجها برباط أبدى ، ولكن الزوج الغافل لا يدرى شيئا من كل هذا ، بل هو سادر فى غيبوبته التى هيأتها له زوجته الجديدة من مجلس الصاخب وارتياد المجتمعات وغشيان الحفلات فكانا لا يرجعان الى بيتهما إلا قبل شروق الشمس بقليل ، وكان حتما عليه أن يجارى المجتمع فى تقاليده ودستوره فهو يحتسى الخمر ويدخن المحظورات ويرتكب كل ما يفعله المجتمع الصاخب من بدع ومنكرات .

وفى ذات يوم رجعت الزوجة تحمل طفلتها المولودة فلم تجد من يستقبلها فى المحطة برغم إرسالها ما يفيد ذلك ، فظنت أنه ربما قد نسى الموعد أو حدث ما أخره ، فيممت شطر المنزل ودقت جرس الباب ، ففتح لها خادم لم تره من قبل متسائلا ، فارتبكت أمينة لما لاحظته على المنزل من تغيير ظاهر وسألت : أليس هذا المنزل للأستاذ عبد العظيم مسعود فرد عليها الخادم قائلا : إن المطرب قد انتقل من المنزل قبل سكناهم وقد سمع أنه سكن فى شارع كذا المجاور بعد أن تزوج فى الشهر الماضى .

وقع الخبر على أمينة كصاعقة نزلت عليها فزلزلت كيانها ولكنها ذهبت إلى عنوان زوجها الجديد يعذبها الشك ويحدوها الأمل فى تكذيب هذا الافتراء الشنيع ، ولكن الحقيقة قابلتها هناك بقسوتها المريرة ، فكانت الصدمة هائلة للزوجة الوفية الساذجة التى ليس لها فى الحياة إلا رجلها الغادر ، وعادت منقلبة النفس بآلام الفشل إلى حيث لا تعلم لها طريقا بينما كلمات منافستها ترن فى أذنها كالحراب السامة ، وتلك الوريقة البيضاء نظير الفراق الأبدى التى أعطاها إياها الخادم تهتز فى يدها المضطربة ، ومشت كالضالة فى ميادين الحياة الواسعة ، حتى انتهى بها المطاف فى مكتب أحد المخدمين الذين كانت على صلة بهم من قبل فحطت رحالها ، وأمكنها أن تلتحق بمنزل أحد الموسرين كمرضعة لطفلهم الصغير .

أما عبدالعظيم فانه ما كاد ينضم إلى هذه الفئة حتى تملكه الغرور وصار يرد طلبات المعجبين به بتأفف وكبرياء، ويشترط شروطا تعسفية مع متعهدى حفلاته، ثم إن زوجته بدأت تنصرف عنه بعد غشيانها المجتمع، بل صارت تحقر من شأنه وتذكره بوضاعة أصله، وكان المطرب المسكين يروض نفسه على الاحتمال، حتى ناء بكلكله ونفر من الحياة المنزلية، فقذف بنفسه بين أصدقاء السوء يقضى الليالى بين المجون والعربدة حتى تعود على قضاء كل أوقاته فى الخارج متبعا هؤلاء الأصدقاء فى عاداتهم بازا إياهم فيما يتعاطون من سموم المخدرات حتى صار فى دنيا الاستهتار عضوا كبيرا بارزا .

وتمالفت المكيفات والسهر الطويل على إفساد صوته الساحر، وأراد القدر أن يسترد من الشاب الناكر للجميل هبته العظيمة ، وأن يتركه يتخبط فى ظلمات طغيانه وافترائه ، فما لبث عبدالعظيم أن شعر بحنجرته الفضية يعلوها الصدأ وأوتار صوته الرخيم تتقطع واحدا فواحدا ، فما من حفلة ذهب لإحيائها إلا وشعر ببوادر الفشل تكال لمجهوداته الضائعة، وما من آهة منه كانت تأخذ فيما مضى بمجامع الألباب إلا وتصحبها حشرجة وتتابعها خشخشة تتردد على أثرها صيحات السخرية وكلمات الاستهزاء وضحكات الشامتين المصحوبة بلاذع النكات وقارص المعانى والأقوال .

وكان هذا الشقاء الجديد يتضاءل أمام عينيه إلى جانب ما يلاقيه من أقوال الزوجة المستهترة وسخريتها الدائمة وضجيجها المستمر مما جعله يتمنى الموت على حياة تنذر بالذل والهوان. وتمادى فى تعاطى المكيفات مستعينا بها على نسيان آلامه وأحزانه ، ولم تخل عليه المكيفات بصداقتها حتى أصبح مدمنا لا يرى إلا بين الكأس والنارجيله ، فساءت صحته وسدت أبواب الرزق فى وجهه ، وانفض أصدقاء السوء من حوله ، كما قلت موارده وضاقت ذات يده ، ولم تجد الزوجة بدا من الطلاق بعد أن ضاعت آمالها فى المطرب الكبير . وهكذا أصبح وحيدا إلا من فقره وشقائه .

وتصادف أن دعى لإحياء حفلة زفاف ، فانتعش أمله من جديد، وقضى اليوم السابق للحفلة فى التأهب والاستعداد وتعاطى المشروبات الساخنة والنوم الطويل ، ولما قاربت ساعة المحدودة للغناء ذهب إلى الحفلة مصطحبا معه من وافقه من أفراد فرقته المنحلة ، واهتز قلبه فرحا عندما وقعت عيناه على معالم الزينة وفخامة المكان المعد لغنائه حتى عادت إلى قلبه المحروم بعض الثقة وابتسم كثيرا للجمهور المحتشد فى المكان الكبير وانحنى كثيرا قبل أن يأخذ مكانه من المنصة العالية .

ودنا موعد الغناء ، وطال التصفيق والتهليل ، وعبد العظيم حائر مضطرب لا يدرى بأى أغنية يبدأ ، وأيها أطوع لصوته الضعيف من غيرها ، وأخيرا ابتدأ فى العزف واستمد

من الضعف قوة ليخرج للناس صوتا منكرا متقطع الأنفاس كحشرجة القتيل ، قابله الجمهور بالصمت المخيف برهة ، ثم تعالت همهمة ثم ما لبثت الهمهمة أن صارت لغوا واللغو هياجا وصياحا ، وتوقف الغناء فى حنجرة المطرب المخذول ، بينما علا السباب والزجرة وتدافعت المناكب تبغى الاقتصاص من المطرب المسكين لتعكيره صفوهم وهنائهم ، ورأى عبد العظيم ماينتوونه نحوه فبادر بالهرب يسبقه أفراد فرقته ، ولكن قدمه المرتجفة لم تلبث أن خانته فهوت به إلى الأرض فسقط متخبطا فى إغماء طويل ، تحطمت معه قدمه الصناعية وأحدثت صوتا ألجم القوم فى أماكنهم .

وارتفعت صرخة حادة من إحدى جوانب الصيوان مصدرها امرأة هزيلة ناحلة تخترق صفوفهم وهى تحمل على كتفها طفلا قذرا مطويا على نفسه ، ثم تتجه إلى المنصة حيث ارتمى المطرب البائس وتصيح فيهم : علىّ بماء أيها الناس ، زوجى والد طفلى .

وأخيرا يستفيق عبد العظيم بعد أن تستدر زوجته السابقة عطف المحتشدين فينظر إلى زوجته الوفية أمينة وهى تهطل بالدموع ، فيهتف بفرح ممزوج بالدهشة — أمينة .

— أجل أمينة يازوجى العزيز وسأظل أمينة وفية دائما .

* * *

وفى الشارع المقفر بينما كانت مصابيح الطريق يكاد يخبو ضوؤها ، كان هناك شبحان تدفعهما الأقدار إلى الامام يتوكأ أحدهما على عصى خشبية بيده اليمنى ، ويستند بالأخرى على امرأة نصف محطمة يتوسد صدرها طفل هضيم تاركين خلفهم المدينة بما تحويه من ضجيج وصخب متطلعين إلى غدهم حيث المستقبل المجهول . م

سمير

طبعت هذه المجلة بالمطبعة الأميرية ببولاق
فى يوم ١٢ من ذى القعدة سنة ١٣٦٢
(١٠ من نوفبر سنة ١٩٤٣) م
مدير المطبعة الأميرية
محمد بكرى

٣٥٠٠ – ١٩٤٢ – ٧٩٥١ المطبعة